الإسلام

وتنمية المجتمع



د. مجدى إبراهيم

الكتــــــــاب: الإسلام وتنمية المجتمع/ د. مجدي إبراهيم
المــــــؤلف : إبراهيم، مجدي
النــــــوع : تــنــمــيــة
تصميم الغلاف: شيماء رضوان
الطبـــــــعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١٢ – نشر إليكتروني
عدد الصفحات: ١٣٥ صفحة
المقــــــاس : ١٧×٢٤
تدمـــــــــك
-١

صرح للنشر والتوزيع | صرح حضارة

المدير العام: عبود مصطفى عبود
كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ)
برج (٢) الدور العاشر.
ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)
البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com
رقـــــــم الإيداع:
التـــرقيم الدولي:
ديــــــــــوي:

المقدمـــة

الحمد لله الذى أنزل كتابه بلسان عربى مبين ، لولاه ما اهتدينا وما عرفت البشرية خيرا من كتاب الله عز وجل.

أما بعد ،،،

فهذا بحث عنوانه "الإسلام وتنمية المجتمع" قسمته على أحد عشر مبحثاً ، يسبقها مقدمة.

- **المبحث الأول :** تحدثت فيع عن المرأة ودورها فى تنمية المجتمع من خلال تفاعلها معه.
- **المبحث الثانى:** تناولت فيه الإسلام والزواج ، وأحكامه ، والحكمة من مشروعية الزواج ، ثم أركان الزواج ، مستحبات الزواج ، محرمات الزواج ، والخطبة ، والحكمة من مشروعيتها.
- **المبحث الثالث:** تحدثت فيه عن المحرمات من النساء ، منها : التحريم المؤبد ، التحريم المؤقت ، ثم الأنكحة الفاسدة.
- **المبحث الرابع :** تحدثت فيه عن الإسلام والحقوق الزوجية ، ومن هذه الحقوق الحقوق المعنوية ، ثم تكلمت عن تعدد الزوجات وحكم التعدد ، ثم الحكمة منه ، ثم موقف الإسلام من هذا التعدد ، ثحدثت عن الصلح بين الزوجين.
- **المبحث الخامس:** تحدثت فيه عن الإسلام والطلاق ، وأشرت إلى أن الزواج عقد بين قلبين ، ثم تحدثت عن العدة ، تعريفها ، حكمها ، ثم الحكمة التشريعية من العدة ، ثم أنواعها. ثم تحدثت عن الخلع وأحكامه وتعريف وأركانه والحكمة التشريعية منه ، وأخيرا تكلمت عن البيوت التى تبنى على الحب.
- **المبحث السادس** : تناولت فيه سلام المجتمع وأمنه.
- **المبحث السابع :** تحدثت عن الصفات التى يتحلى بها المؤمن ، منها : آداب الزيارة ، آداب الطريق ، صون اللسان واليد ، الاعتماد على النفس.
- **المبحث الثامن :** تحدثت فيه عن بعض قضايا المجتمع والتى منها : التنمية ، العمل ، الادخار وعدم الإسراف.

- **المبحث التاسع :** تحدثت فيه عن استتباب الأمن ونوهت إلى أن استتباب الأمـــن ثمرة الإيمان والعمل الصالح ، ثم تناولت الإسلام والأمن الداخلى ثم الخـــارجى ، ثم عناية الإسلام بحقوق الإنسان وصيانة حرماته.
- **المبحث العاشر:** تحدثت فيه عن الإسلام والنظم السياسية والاقتصادية والثقافية ، فمن النظم السياسية: أن الحكم فى الإسلام يقوم على أسس ، منهـــا : الشـــورى ، كفالة حقوق الإنسان ، العدالة. ثم تناولت أركان الاقتصاد فى الإسلام وخصائصه ، وأخيرا تحدثت عن الإسلام والثقافة ، نشأتها ، مصادرها ، ثم تناولـــت الفنـــون والآداب ، ثم الموسيقى والغناء ، ثم فن الرسم والتصوير والمجسمات.
- **المبحث الحادى عشر :** تحدثت فيه عن أسس التوازن البيئى فى الإسلام والتى منها : تنظيم الأسرة ، تنظيم النسل ، ثم عقدت مناظرة حول تنظيم النسل ، ثم تحـــدثت عن النظافة كنظافة الجسم ، الملبس ، المكان ، ثم نظافة اللسان والجوارح ، ثـــم المحافظة على الماء وترشيد استهلاكه ، ثم تحدثت عن الإكثار مـــن المســـاحات الخضراء والأشجار ، ثم تكلمت بعد ذلك عن بعض الأمور المخلة بالتوازن البيئى ، والتى منها : التطرف والإرهاب ، والتدخين ، والإدمان والمخدرات ، والخمر ، وأخيرا تحدثت عن الانحراف والحرابة والإفساد فى الأرض.

والله نسأل أن ينفعنا بنعمة تعلم العلم النافع المفيد

القاهرة فى التاسع عشر من ربيع الأول سنة ١٤٣٢ هجرية

الموافق الثانى والعشرين من فبراير سنة ٢٠١١ ميلادية

الباحث

المبحث الأول

المرأة وتنمية المجتمع

أولا- دور المرأة فى المجتمع:-

إن المرأة نصف المجتمع ، وحنو الرجل ، وشطره فى الحياة وهى الأم والأخت ورفيقة الدرب نحو تحقيق الغايات المثلى والأهداف العظمى ، ولا فضل للرجل عليها إلا بمعيار التقوى قال تعالى:"**إن أكرمكم عند الله اتقاكم**"[(١)].ولقد أدخلها الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن قوله :" **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته المرأة راعية ومسئولة عن رعيتها**".

وكانت المرأة فى المجتمعات القديمة من سقط المتاع، وكانت النظرة إليها متدنية ومعاملتها يندى لها الجبين وذاقت المرآة طعم الازدراء والهوان والاستخفاف بكيانها الآدمي، فصارت المرأة فى عرف الرجل مصدرا لمتعة الجسد وقضاء حاجاته وخدمته وإنجاب الأطفال له، وغض الطرف عن كونها رمزا لكل عطاء ومنبعا لكل حنان ، كان من الطبيعي فى ضوء هذه النظرة القاصرة ألا تشارك المرأة الرجل فى شئ مما يسهم فى تغيير أنظمة حياته أو آليات معيشته. فخرجت من التعليم وهو حق لها ومطلب ملح لمطاردة شبح الجهل الذى يفتت شخصية الأمة ويمحو سبل نهضتها ، ولم تشارك فى الحياة السياسية أو تعبر عن رأيها فى اختيار التخصصات التي تتبوأ مكان الصدارة فى المجتمع ولقد أعاد ديننا الحنيف للمرأة حقوقها ، فقد كانت محرومة من الميراث فى الجاهلية، ولما جاء الإسلام أكرمها وجعل لها حقوقاً وواجبات فى ظل الأمن والأمان.

ومع بزوغ عصر النهضة الحديثة وتغير الأنظمة الاجتماعية وظهور حركات الإصلاح تغيرت النظرة إلى المرأة وتبدلت الرؤية فتحقق للمرأة مكاسب اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية كبيرة حصلت على حقها فى التعليم وأثبتت قدراتها الإبداعية الخلاقة فى مجالات الآداب والفنون ، وحصلت على حق العلم وأكدت حقها فى الحصول على الأجر الذى يساوى أجر الرجل فى معظم البلدان العربية وتقلدت فى بعض الدول العربية منصب الوزارة منذ ما يقرب من أربعين عاما كما تقلدت المناصب القضائية ،كما حصلت على حقوقها السياسية كاملة فى كثير من الأقطار العربية وبرزت المرأة العربية كنائبة ذات ثقل فى العديد من مجالسنا النيابية وصاحبة دور فعال من خلال المنظمات الأهلية سواء فى

١- سورة الحجرات : ١٣

العمل الوطني أو الساحة الدولية والتاريخ شاهد على دور المرأة العربية فى الكفاح الوطني من أجل الاستقرار جنبا إلى جنب مع الرجل .

إن ما نجحت المرأة العربية فى تحقيقه فى بلادنا يـدفعها إلـى التصـدي لمشـكلات الحاضر التي تعددت بسبب تعقد الحياة المعاصرة، ولم تعد تقبل الجمود أو العزلة بل تحتم المواجهة الجسورة للتحديات القائمة التي يمكن أن تحد من حركتها ومـن قـدرتها علـى الإنجاز والمشاركة فى التنمية العربية المشتركة وأخطر هذه التحديات ينبع من داخل المرأة ذاتها من داخل المجتمع ذاته من أفكار ومخاوف لا أساس لها من الصحة ومن موروثـات اجتماعية وأعراف بعيدة كل البعد عن التعاليم الصحيحة والواقع العلمى.

إن الموقف المؤيد لقضايا المرأة لا ينطلق فقط من البديهية المعروفـة بـأن المـرأة نصف المجتمع أو أنها تعرضت لظلم استمر عقودا طويلة، وإنما ينطلق من أرضية صـلبة تقف على حقائق التاريخ والثقافة، فقضية المرأة لا تمثل مشكلة فئة أو مجرد صيغ وإذا لـم تأخذ المرأة موقعها فى المجتمع وتمارس مسؤليتها وتقوم بأداء دورها الرائد فإنه سـيكون من المتعذر على المجتمع أن يحقق نهضته أو يؤدى رسالته الحضارية النبيلة بالكامل .

وإنه لمن الواجب على المرأة الاعتماد على الذات كلما أمكن . ولابد من تـأمين مبـدأ تكافؤ الفرص بين الرجال والنساء بصفة عامة بما فى ذلك التعليم والتدريب والتأهيل ومحو الأمية والتعليم الذاتي والعمل، وتمكين المرأة من إلى الخدمات الصحية بكفاءة وكفاية مـع اهتمام خاص بالخدمات ومراقبة تنفيذها . ودعم قدرة المرأة على الجمع بـين حقهـا فـى العمل وواجباتها الأسرية بتقديم الخدمات المساعدة وتعديل التشريعات التي تحول دون ذلك. وبث القيم الاجتماعية الإيجابية المتعلقة بالمرأة ونشر تلك القيم عبر وسائل الإعلام ووسائل التربية .

إن هناك الكثير من الأمهات المثاليات اللائى شرفن مصر ورفعن رأسها عاليا كعائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" وملك حفنى ناصف، وهدى شعراوي، وصفية زغلول وغيرهن ممن نجحن فى أعمالهن.

انظر إلى ملك حفنى ناصف تلك التى كانت تقوم بأعمال بيتها بنفسها، وفـى أوقـات فراغها كانت تعكف على قراءة الكتب المفيدة، وزيارة مدارس البنات وفحص مناهج التعليم وإبداء الرأى فيها.

حقا الأم مدرسة تربي الأجيال وتصنع الرجال، قال الشاعر حافظ إبراهيم :

الأم مدرسة إذا أعددتها   **أعددت شعبا طيب الأعراق**

ثانيا- دور الأسرة فى المجتمع:

إن علاقة الزواج جعلت لتوسيع نطاق الأسرة ، ومدها إلى ما وراء رابطة القرابـــة ، ومن ثم فلا ضرورة لها من الأقارب الأقربين الذين تضمهم آصرة القرابة القريبـــة. ومن ثم حُرِّم الزواج من هؤلاء لانتفاء الحكمة فيه ، ولم يبح من القريبـــات إلا مـــن بعدت صلته حتى ليكاد أن يفلت من رباط القرابة.

ولما كانت العلاقات الأسرية بهذا الاتساع والشمول ، صـــارت بالضـــرورة لا تقتصر على الأفراد الذين يعيشون فى مسكن واحد ، وتجمعهم حياة منزلية مشتركة ، بل تجاوزت ذلك ، وصارت الوشائج بين أسر مختلفة وأصبح التقدير بين مجموعات متنوعة ، وتأكد الاتصال بين بيوت عديدة ، وهو ما يثبت أن الأسرة فى نظر القرآن لم تكن مجرد حشود من الأفراد يعرفون أصولهم ، وفروعهم ، ولكنها عدد كبير مـــن الأفراد ذكورا وإناثا بينهم صلات وارتباطات ، وحرمات ، وبينهم تحابب ، وتوادد ، وتبادل وجدانى ، وتشارك مادى.

وإذا كانت الأسرة تعد الوسط الاجتماعى الأول الذى يؤمن وســـائل المعيشـــة لأفراده ، ويمرنهم على الحياة ، ويشكلهم ليكونوا أعضاء عاملين فى المجتمع ، صار من الثابت : أن المجتمع – الذى من أشكاله الأسرة – لا يضم أفرادا فحسب ولكنـــه يضم أفرادا ، وما يتولد بالضرورة عن وجودهم الاجتماعى من صلات وعلاقات.

واتخاذ الأسرة منطلقا لدراسة ما تتطلبه بنية المجتمع ليس بدعا ، لأنها بوصفها أبسط أشكال التنظيمات الاجتماعية ، قادرة أكثر من سواها على أن تساعد على فهـــم ومعرفة بنية المجتمع ، لأن المجتمع على الرغم من كونه ليس أسرة كبيرة ، ولا هو مجموعة من الأسر ، وتتشعب علاقاتها الداخلية وإلى الخارجية ، وتشابك نظمهـــا ، وتداخل وظائفها – كما هو ثابت تاريخيا وعلميا – يبقى التشابه بينهما قائما والتفاعل مستمرا ولو فى بعض الوجوه.

لقد لاحظ علماء التربية – اليوم – أن مدة الطفولة داخل الأسرة قد طالت عما كانت عليه ، بسبب تقدم الحضارة ، وازدهار المعارف. وقد أكد بعضهم الفكرة فقال: " ... لئلا أذهب بعيدا للاستشهاد على صحة ما أقول : أرجو أن يقارن السامع الكريم بين مدة طفولة طفل عاش فى وطننا هذا قبل خمسين عاما ، وطفولة اليوم. لقد كـــان

الطفل يدفع إلى الحياة فى مجتمعنا فى سن قد لا تتجاوز السابعة أو الثامنة ، وذلك ليصبح أجيرا حلاقا أو جزارا أو حدادا أو ليعين أباه فى حقله أو متجره ، وهو – اليوم– يستمر فى التعليم إلى سن قد تصل إلى الثامنة والعشرين ليتخرج طبيبا ، أو حامل دكتوراه ... وهو خلال هذه المدة كلها عالة على أهله الذين ينفقون عليه ، وعلى مجتمعه الذى ينقل المعلومات والخبرات والمهارات إليه"

وهذا ما يبين أن دور الأسرة لا يزال خطيرا ، وأن تأثيرها فعال فى تنمية العلاقات الاجتماعية ، وإذا كان علماء التربية –اليوم– يرون أن مدى تقدم الأمم يقاس –الآن– بطول طفولة أبنائها ، وخصب هذه الطفولة وسعادتها ، بات من المؤكد أن الأسرة ليست مجرد اتحاد عاطفى ، بل هى حقل تربى فيه العاطفة والعقل ، ويحصل فيه التدريب على الاتحاد والتعاون.

كما أن تفاعلها مع المجتمع ، وتفاعل المجتمع معها فى نمو مطرد –وهذا ما يفسر لنا حرص القرآن الكريم على بيان أهمية الأسرة ، وأهمية وظيفتها ، فهى فى نظر القرآن لم تكن مجرد فنادق للنوم والمأكل ، ولكنها بيوت للتربية والتعليم ، وتبادل العواطف ، وتلاقح الأفكار ، وتعاون فى السراء والضراء بين أفرادها.

وعلى كل ، فإن الحياة الأسرية أو الزوجية فى الإنسان تختلف عن الحياة الزوجية فى الحيوان ، والنبات من حيث كونها لم تقف وظيفتها عند حدود النمو العددى ، بل تتجاوز إلى نمو العلاقات وتنشئة الصلات. وهذا ما يجعلنا ندرك أن الجماعة أو المجتمع ليس ركاما من البشر ، ولا حشدا متراصا من الأعداد ، بل هو أعداد مترابطة ، وأفراد متواصلة. قال البهىُّ : " ونمو الإنسان فى مجتمعه إذن ... ليس نموا عدديا فقط ... وإنما هو مع ذلك نمو فى العلاقات بين أعداده ... وإذا لم يحقق الإنسان بين أعداده الكبيرة ، والمتزايدة معنى المجتمع ، أو أهدافه من الاطمئنان ، والسلام ، والمودة ، والرحمة فى علاقات الأفراد ، فإن الإنسان يبقى فى نطاق هدف النبات والحيوان.

المبحث الثانى

الإسلام والزواج

الزوجية من سنن الله فى الخلق والتكوين ، وهو ما لا يختص به الإنسان فقــط ، بــل جعلها الحكمة الإلهية عامة مطردة ، قال تعالى:

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وقد جعل الله تعالى سببا للتوالد والتكاثر ووسيلة لاستمرار الحياة وتجــددها ، وجعــل غرائزه وضبط العلاقة بين الذكر والأنثى حماية لكرامته وشرفه ، وتقديرا لســيادته ، وحرصا على نموه نموا كاملا من أجل أن يكون أهلا للمسئولية المنوطــة بــه ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بوضع الغرائز فى الإطار الذى شرع لها حماية للنسل من كــل ضياع ، وصيانة للزوج والزوجة من كل انحراف قد يكون سببا فى تقــويض أســس الأسرة التى قد يتعطل حصول الثمار المرجوة منها نتيجة لذلك.

وليست الأسرة فى الإسلام مجرد علاقة بين الذكر والأنثى ، أو مجرد تجمــع قائم على صلة الدم ، بل هى المكان الأول الذى تبنى فيه مبادئ المجتمع واتجاهاتــه وقيمه ، وهى المنبع الذى يصدر منه كل ما ينصف به المجتمع سلبيا كان أو إيجابيــا. فصلاح الأسرة وتماسكها ينتج عنه صلاح المجتمع وتماسكه وفســادها يقضــى إلــى فساده. ومن أجل ذلك اعتنت الشريعة الإسلامية بالأسرة عناية كبيرة ورعتها رعايــة شاملة وذلك بتبيين القواعد التى تبنى عليها ، وتوضيح القواعد التى يجب أن تســودها من أجل صيانتها والمحافظة عليها سليمة من الأمراض والعاهات المادية والمعنوية.

١- سورة الذاريات : ٤٩

٢- سورة يس : ٣٦

قال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

وحين نتأمل الآية الكريمة ونغوص فى أعماقها تتجلى لنا بوضوح أسس الأسرة المسلمة ، فهى أولا سكن وراحة وطمأنينة بالمعنى المادى والروحى ، وهى ثانيا مودة ورحمة وضمان للتعارف والتآلف والتعاون والتكافل الذى يتجدد على الدوام ولا يتبدد.

إن هذه المعانى هى التى تكفل وجود البيئة المناسبة لتربية الإنسان وتضمن له أقصى درجة من النمو العقلى والوجدانى ، وتقيه من الانحراف عن النهج القويم وتنأى به عن كل ما يخدش إنسانيته وكرامته.

فالعلاقة الزوجية أسمى من أن تكون مجرد علاقة حسي ، بين الذكر والأنثى ، بل هى علاقة تهدف إلى إقامة حياة مشتركة على أساس من المشاعر الإنسانية الراقية التى تضمن إيجاد الأسرة السعيدة ، بعيدا عن الآفات الاجتماعية التى عرفتها وما تزال تعرفها المجتمعات البشرية كاختلاط الأنساب وانتشار الأحقاد ، وتحطيم البيوت الآمنة المطمئنة .

إنك حين تتأمل أحكام الشريعة الإسلامية فى أحوال الأسرة وكل ما يتعلق بذلك من خطبة وزواج وطلاق ونفقات وما يترتب على ذلك من واجبات وحقوق ، وسلوك وحدود ، تجدها تسعى فى مجملها إلى بناء الأسرة المسلمة على الأسس التى تتضمنها الآية السابقة من سورة الروم والتى بدونها لا يمكن أن تقوم لها قائمة ولا يمكن أن تنتظر منها الثمار اليانعة المرجوة ، ولا يمكن أن تنتج البيئة الملائمة لتكون مصدرا للكمال البشرى وكل الفضائل التى تليق بكرامة الإنسان الذى فضله الله وكرمه على سائر المخلوقات.

١- سورة الروم : ٢١

إنك حين تتخلص من النظرة التجزيئية لمختلف الأحكام الشرعية ستظهر لـك فى صورة تكاملية رائعة تسعى كلها إلى بناء الأسرة على أساس المـودة والرحمـة وعلى أساس المسئولية الكاملة لكل من الرجل والمرأة فى كل ما يقدمان عليه ، بدايـة من مقدمات النكاح ، مرورا بالزواج ، وانتهاء بنتائجه.

إنها أحكام ترمى إلى تنظيم العلاقات الجنسية على أسس نظيفة وصريحة مـع وضعها فى إطار شرعى لتحقيق أهداف واضحة ومرامى بعيدة.

إنها ليست مجرد نزوة حيوانية ، أو شهوة جنسية فحسب ، ولكنها علاقة يبتغـى مـن ورائها تهذيب الشهوات الجنسية وتوجيهها وفق ما تقتضيه الفطـرة الإنسـانية نحـو تحقيق السعادة والمتعة والطمأنينة وبعيدا عن كل ما قهر أو كبت أو قمع.

الزواج وأحكامه

الزواج نظام الحياة ونداء الفطرة وسنة الأنبياء ، يعتبره الإسلام أحسن تنظـيم لعلاقة الرجل بالمرأة طبقا لشريعة الله وتبعا لسنة أنبيائه ، وهو شطر الدين. قـال الله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقال ﷺ "من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله فى الشـطر الباقى"

أولا: **تعريف الزواج**:

- الزواج لغة: الضم والجمع والاقتران والارتباط.
- الزواج شرعا: هو عقد يفيد العشرة بين الرجل والمرأة ويفيد تعاونهما ويبين ما لكل منهما من حقوق وما عليه من واجبات.

١- سورة الروم : ٢١

ثانيا: **حكمه**

النكاح مشروع بالكتاب والسنة:

- قال تعالى

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1]

وقال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2]

ومن السنة قول رسول الله ﷺ "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتـزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".

الأصل فى الزواج الندب وبالنظر إلى المقاصد التى من أجلها شرع الـزواج ، وباعتبار ما يحصل من مفاسد اجتماعية وأخلاقية يفرزها العزوف عنه ، وبالاحتكـام إلى روح الدين الإسلامى ومقاصده الكبرى يمكن القول بأن الزواج تعتريه الأحكـام الخمسة من حرمة ووجوب وكراهة وندب وإباحة حسب خصوصية كل حالة.

ثالثا: **الحكمة من مشروعية الزواج**

إن فى تشريع الزواج فوائد كثيرة نذكر بعضها:

١- الحفاظ على النوع البشرى وفى ذلك ضمان لاستمرارية عملية التعمير.

٢- الزواج هو المتنفس الطبيعى المأمون لغريزة الجنس تستطيع أن تؤدى من خلالـه وظيفتها التى من أجلها ركبت فى الإنسان دون أن تلحق الأذى والضرر بـالجنس البشرى ، ودون أن تخدش كرامته الآدمية.

٣- الزواج هو الوسيلة الصحيحة لتكوين أسرة مترابطة يقوم عليهـا بنـاء المجتمـع الصالح ، وهو الطريق الوحيد لذرية صالحة قادرة على تحمل أعباء الحياة.

١- سورة النور : ٣٢

٢- سورة الروم : ٢١

٤- الزواج حصانة للزوجين تعصمهما من الوقوع فى الحرام والارتكاس فى حمأة الرذيلة ، وتمدها بأسباب الراحة النفسية وسكينتها ، كما يغرس الزواج فى الزوجة الشعور بالمسئولية فيتجهان نحو التعاون والتآلف.

٥- الأسرة هى المنبع الوحيد لمشاعر الرحمة والحب والحنان وغيرها من المشاعر الإنسانية التى لا يمكن أن تنشأ إلا فى ظلال الأسرة.

٦- بالزواج تنشأ روابط جديدة داخل المجتمع ، فتتسع دائرة العلاقات الاجتماعية وتزداد متانة ووثوقا وهذا ما يشجع عليه الإسلام.

رابعا: **أركان الزواج**

لابد لعقد الزواج من أركان يقوم عليها حتى يكون صحيحا وهى خمسة:

الركن الأول: **المحل** (**الزوجان**) ويشترط فيهما:

- توفير الأهلية للزواج.
- الرضا وعدم الإكراه.
- عدم الإحرام بحج أو عمرة.

ويشترط فى الزوج: أن يكون مسلما ، خاليا من الموانع الشرعية المؤبدة منها والمؤقتة.

ويشترط فى الزوجة: أن تكون مسلمة أو كتابية ، خالية من الموانع الشرعية المؤبدة منها والمؤقتة.

الركن الثانى: **الولى**:

وهو الذى يتولى أمر المرأة فى العقد نيابة عنها ، كالأب والأخ والجد والعم والوصى والحاكم (القاضى) قال رسول الله ﷺ "لا نكاح إلا بولى، وفى رواية : والسلطان ولى من لا ولى له" (١)

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل" (٢)

١- رواه أصحاب السنن

٢- رواه الترمذى

شروط الولى:

الولى ينوب عن وليته فى مجلس العقد ويعبر عن رضاها ، ويشترط فيه ما يلى:

- أن يكون فى كامل قدراته العقلية حين العقد ، بالغا ، مسلما.
- أن يستأذن وليته فى نكاحها ، ممن أرادت إن كانت بكرا ، وإن كانت ثيبا فيطلب أمرها ، فعن عبد الله بن عباس-رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال : "الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها" (١)

الركن الثالث : **الصيغة**

وهى كل لفظ يدل على وقوع الزواج كقوله "زوجنى ابنتك" أو "وصيتك فلانة" ويجيب الولى: "لقد زوجتك وأنكحتك" ويشترط فيها ما يلى:

- اتحاد المجلس.
- أن يسمع كل منهما الآخر.
- أن يكون اللفظ صريحا.
- توافق الإيجاب والقبول من جميع الوجوه.

الركن الرابع: **المهر**

وهو ما يدفعه الرجل للمرأة عربون محبة ووفاء وإظهارا لصدق رغبة الزوج فى معاشرتها ، وهو واجب لقوله تعالى:

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحۡلَةً ۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَىۡءٍ مِّنۡهُ نَفۡسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (٢)

ولقوله ﷺ ".... التمس ولو خاتما من حديد" (٣)

ويشترط فى المهر أن يكون:

- مما يصح تملكه. -معلوما محددا

١- رواه الإمام مالك وغيره

٢- سورة النساء : ٤

٣- متفق عليه

تشطير المهر:
يصح تعجيل دفع الصداق مع العقد ، ويصح تأجيله كله أبو بعضه إلى حين الدخول إن علم وقته ، وإن لم يعلم فلا يصح لجهالة الأجل.

الركن الخامس: **الشاهدان**

لابد من حضور رجلين عدلين أو أكثر عند عقد الزواج لحفظ حقوق الزوجين إذا حدث خلاف ، لقوله تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ [١]

وقول رسول الله ﷺ "لا نكاح إلا بولى وشاهدى عقد" [٢] ويشترط أن يكونا:

- اثنين فأكثر.
- عدلين ، وذلك باجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر.

ملاحظة: لابد من تدوين العقد على وثيقة رسمية فى الجهة المختصة تحفظ حقوق الزوجين والأولاد.

خامسا: **مستحبات الزواج**

١- الخطبة ، وهى طلب المرأة للزواج بطريقة شرعية ، وقد شرعت ليتعرف الخاطبان على بعضهما البعض.

٢- حسن الاختيار على أساس الدين والخلق ، قال رسول الله ﷺ "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" [٣]

٣- الكفاءة على أساس الصلاح والاستقامة والأمانة. قال رجل للحسن بن على : "إن لى بنتا فمن ترى أن أزوجها له؟ قال: زوجها ممن يتقى الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها".

٤- الوليمة: وهى طعام العرس لقوله ﷺ لعبد الله بن عوف "جاء عبد الله عليه أثر صفرة فقال رسول الله ﷺ تزوجت؟ قال نعم. قال ومن؟ قال امرأة من الأنصار.

١- سورة الطلاق :٢

٢- رواه البيهقى

٣- رواه الشيخان

قال كم سقت؟ قال زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب ، فقال له النبى ﷺ أولم ولو بشاه" [١]

٥- إعلان النكاح بغناء مشروع مباح لقول رسول الله ﷺ فُصِل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت) [٢]

٦- الدعاء للزوجين بالبركة. عن أبى هريرة رضى الله عنه "أن النبى ﷺ كان إذا رفأ- هنأ الإنسان إذا تزوج قال: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما" [٣]

٧- تيسير المهر وعدم المغالاة فيه: عن عائشة عن النبى ﷺ قال "أعظم النساء بركة أيسرهن مئونة" [٤]

سادسا: محرمات الزواج

١- الخطبة على الخطبة.

٢- خطبة المرأة المعتدة ، أو العقد عليها.

٣- زواج المسلمة بالكافر أو الكتابى.

٤- إسقاط ركن من أركانه ، أو شرط من شروطه ، كعدم حضور الولى .....

الخطبة

الخطبة : كل عقد من العقود المهمة تسبقه عادة مقدمات يستوثق العاقد من أنه يحقق رغبته فيقدم عليه ، ولذلك كان التسرع فى الارتباط به غالبا يعقبه الندم.

ولما كان الزواج من أخطر العقود لأنه عقد الحياة ، فيه من التكاليف والالتزامات ما ليس فى غيره ، جعل له الإسلام مقدمة نظمها وبَيَّن أحكامها تسمى الخطبة ليكون المتزوج على بينة من الطرف الآخر ويتحقق لهما بهذا الراحة والسعادة الأسرية.

تعريف الخطبة:

الخطبة بكسر الخاء هى أن يتقدم الرجل لامرأة معينة تحل له شرعا أو إلى أهلها ليطلب الزواج بها بعد أن توجد عنده الرغبة فى زواجها.

١- متفق عليه

٢- رواه أصحاب السنن

٣- رواه الترمذى

٤- رواه أحمد

حكمها والحكمة من مشروعيتها:

الخطبة مندوب إليها كمقدمة للزواج وتمهيد له ، تهدف إلى إتاحة فسحة للزوجين ليتعارفا فيما بينهما ، وهى سبيل كريم يبدى من خلاله الزوج رغبته فى الزواج ممن يحب حتى يبنى الزواج على مبدأ سليم.

ما يترتب على الخطبة:

الخطبة مجرد وعد بالزواج وليست زواجا ، فالزواج لا يتم إلا بانعقاد العقد الشرعى ، وعليه فيظل كل من الخاطبين أجنبيا عن الآخر من حيث أحكام الخلوة.

أنواع الخطبة:

الخطبة إما أن تكون صراحة فيقول الخاطب لمن يرغب فيها : أريد أن أتزوج من فلانة ، وإما أن تكون مفهومة ضمنا أى بالتعريض كأن يقول لها : أنت جديرة بالزواج ، أو أبحث عن فتاة رائعة مثلك ...

خطبة المرأة المعتدة:

إذا كانت الخطبة وسيلة للزواج فيجب ألا تكون المرأة المراد خطبتها يحرم عليه زواجها ، لأن الغاية إذا كانت حراما ، كانت الوسيلة كذلك. وقد وضع الفقهاء قاعدة لمن يصح خطبتها فقالوا: إن من يجوز الزواج بها فى الحال تجوز خطبتها.

ولما كانت المرأة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها فى طريق زوال المانع منها أثناء عدتها ، تكلم الفقهاء فى حكم خطبتها بشئ من التفصيل.

إن المعتدة من وفاة زوجها لا تجوز خطبتها تصريحا ، وتجوز تعريض لقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١)

١- سورة البقرة : ٢٣٤ ، ٢٣٥

أما المعتدة من طلاق رجعى فلا تجوز خطبتها بالاتفاق ، لأن الزوجية لا تزال قائمة ، وحق الزوج فى مراجعتها قائم ، فتكون كالزوجة من كل الوجوه فتحرم خطبتها بأى شكل ، تصريحا كان أم تعريضا.

أما المعتدة من طلاق بائن بينونة صغرى أم كبرى فلا يجوز خطبتها تصريحا، وتصح بالتعريض لانقطاع الزوجية بالطلاق البائن ، وقياسا على المعتدة من عدة الوفاة.

النظر إلى المخطوبة:

لتكون الخطبة محققة غايتها أباح الشارع النظر إلى المخطوبة مع كونها أجنبية ، بل أمر به ورغب فيه مبينا الحكمة التى تترتب عليه. روى البخارى ومسلم أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال له النبى ﷺ : "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما" أى أجدر وأدعى أن يحصل الوفاق والملائمة بينكما.

الخطبة على الخطبة:

يحرم على الرجل أن يخطب على خطبة أخيه لما فى ذلك من اعتداء على حق الخاطب الأول ، والإساءة إليه ، وقد ينجم عن هذا التصرف الشقاق بين الأسر ، كما يعتبر هذا الفعل من خوارم المروءة ، فعن عقبة بن عامر -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "المؤمن أخو المؤمن ، فلا يحل له أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر" [١]

١- رواه أحمد ومسلم

المبحث الثالث

المحرمات من النساء

إن الإسلام لم يطلق العنان للإنسان فى الزواج ليتزوج ممن يشاء وكيفما يشاء ، بل حظر عليه أن يقترن بأنواع من النساء إما بشكل دائم أو بشكل مؤقت. وليس هذا المنع اعتباطا ، بل هو منع تتحقق بمراعاته مصالح متعددة تعود تارة على النسل ، وتارة على الزوج نفسه ، وتارة على القيم الدينية والأخلاقية ، وتارة على العلاقات والصلات الاجتماعية ، وإليك بيان هذه المحرمات...

أ) التحريم المؤبد

وهو الذى يمنع المرأة أن تكون زوجة لرجل فى جميع الأوقات وأسبابه ثلاثة:

١- النسب:

المحرمات بالنسب هن: الأم ، الجدة مطلقا (سواء كانت من جهة الأب أو الأم) ، البنت وبنتها ، بنت الابن وبنتها ، الأخت مطلقا ، بنات الأخت ، العمة مطلقا ، الخالة مطلقا ، بنات الأخ مطلقا.

٢- الرضاع:

الرضاع المحرم هو ما كان دون الحولين وتحقق معه وصول اللبن حقيقة إلى جوف الرضيع ، ويحرم بالرضاع جميع المحرمات بالنسب من الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت ، قال تعالى:

﴿ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ ﴾[1]

٣- المصاهرة:

- زوجة الأب وزوجة الجد لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2]

١- سورة النساء : ٢٣

٢- سورة ٢٢

- أم الزوجة وجدتها ، وبنت الزوجة إن دخل بالأم لقوله تعالى:

﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ (١)

٤- **الملاعنة:**

يحرم أبدا على الرجل أن يتزوج امرأته التى لاعنها.

(ب) التحريم المؤقت:

وهو الذى يمنع أن تكون المرأة زوجة لرجل بسبب حالة خاصة بها ، فإن زالت تلك الحالة زالت تلك الحرمة ، والمحرمات تحريما مؤقتا هن:

١- أخت الزوجة إلا إذا فارق أختها بطلاق أو وفاة ، لقوله تعالى:

﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٢)

٢- عمة الزوجة أو خالتها:

فلا تنكح حتى تطلق بنت أخيها أو بنت أختها ، وتنقضى عدتها ، لنهيه ﷺ عن الجمع بين المرأة وخالتها والمرأة وعمتها.

٣- المحصنة:

أى المتزوجة حتى تطلق وتنقضى عدتها.

٤- المعتدة: من طلاق أو وفاة حتى تنقضى عدتها ، وتحرم خطبتها أثناء ذلك.

٥- المطلقة ثلاثا: حتى تتزوج رجلا آخر زواجا شرعيا لا يقصد منه التحليل ، ثم إن طلقها الرجل الثانى ، تحل لزوجها الأول.

٦- الزانية: حتى تتوب ويعلم ذلك منها يقينا ، لقوله تعالى :

﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

١- سورة النساء : ٢٢

٢- سورة النساء : ٢٣

٥- الإحرام بحج أو بعمرة.

٦- يحرم على المحرم أن يعقد النكاح لنفسه أو لغيره فعن عثمان بن عفان -رضى الله عنه- قال رسول الله ﷺ "لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب" (٢)

٧- الكفر والشرك : لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)

آية المحرمات : قال تعالى:

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلاً ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٤)

الأنكحة الفاسدة

كون الإسلام يحث على الزواج ويشجع عليه ، لا يعنى أبدا أن أى شخص يتزوج بالطريقة التى تحلو له ، وبالصيغة التى تروق لمزاجه ، فالإسلام أحاط الزواج بجملة من الضوابط الصارمة بحيث أن من الأنكحة ما فقد شرعيته ، إما لأنه

٣- سورة النور : ٣

١- رواه مسلم

٢- سورة البقرة : ٢٢١

٣- سورة النساء : ٢٢ ، ٢٣

أخل بركن من أركانه وإما لأنه حاد عن المقاصد النبيلة لتشريعه ، وهذه بعض الأنكحة الفاسدة.

١- زواج المتعة:

وهو النكاح إلى أجل سواء كان معينا أو غير معين ، كقول الزوج: زوجني ابنتك عشر سنين ، أو زوجني ابنتك مدة إقامتي في هذا البلد ، فإذا سافرت فارقتها. ففي الحديث " أن عليا قال لابن عباس –رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر" [١]

وهذا الزواج يفسخ مطلقا قبل الدخول وبعده ، ولو ولدت الأولاد ، ويعزر الزوجان ولا يحدان ، ويلحق الولد بالرجل.

٢- نكاح السر:

وهو النكاح الذى أمر الشهود حين العقد بكتمه سواء عن فرد أو جماعة ، وإذا وقع هذا الزواج فإنه يفسخ إذا لم يطل ، أما إذا طال واشتهر بين الناس فإنه لا يفسخ. ويعاقب الزوجان إذا تواطأ واتفقا على ذلك.

٣- زواج المحلل:

وهو أن يتزوج الرجل امرأة مطلقة ثلاثا ، لا لكى يستمر معها فى الزواج ، ولكن لكى يحلها لزوجها الأول ، وهو محرم ، فعن عبد الله بن مسعود –رضى الله عنه– قال : " لعن رسول الله ﷺ المحل والمحلل له" [٢] وإذا تم مثل هذا الزواج واطلع عليه فإنه يفسخ بطلقة بائنة.

٤- زواج الشغار:

وهو أن يقال: زَوِّج ابنتك لابنى وأزوج ابنتى لابنك ولا صداق بيننا. وهو محرم لحديث ابن عمر – رضى الله عنهما– أن النبى ﷺ قال : "لا شغار فى الإسلام"[٣]

وحكم هذا الزواج أن يفسخ قبل الدخول وبعده ، وللمرأة إذا تم الدخول صداق المثل.

١- رواه أحمد والترمذى وابن ماجة

٢- رواه الترمذى

٣- رواه مسلم وغيره

٥- نكاح المحرم بحج أو عمرة:
قبل التحلل منهما لقول الرسول ﷺ : "لا ينكح المحرم ولا يخطب ولا يـــنكح" [١] ، أى لا يعقد لنفسه ولا لغيره أثناء الإحرام.
٦- نكاح الكافرة غير الكتابية: كأن تكون مجوسية أو مشركة ، لقوله تعالى:
﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٢]
كما لا يحل للمسلمة الزواج بالكافر مطلقا لقوله تعالى:
﴿ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ ﴾ [٣]

١- رواه النسائى ومسلم
٢- سورة البقرة : ٢٢١
٣- سورة الممتحنة : ١٠

المبحث الرابع

الإسلام والحقوق الزوجية

إن الإسلام إذ يحث على الزواج ويشجع عليه ، وإذ يرشد إلى أهمية إحكام أساس البيت الزوجى من خلال حسن الاختيار ويؤكد عليه ، يحرص فى نفس الوقت على بقـاء هذا البيت من خلال تشريع الحقوق والواجبات الزوجية التى متى احترمت وروعيت فإن البيت سينعم بالهناء والاستقرار وتكون حظوظه أوفر فى الاستمرار والدوام.

أولا - حقوق الزوجة: وقد شرعت بقوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

وفيما يلى بعض هذه الحقوق:

١- الحقوق المادية:وتتمثل فى الصداق لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (٢)

٢- الحقوق المعنوية:

وهى حسن العشرة بين الزوجين ، وتكون بالألفة ، وحسن الصـحبة ، وهـى أمـر مطلوب شرعا بحيث يعامل أحدهما الآخر معاملة حسنة بعيدة عن الفحش والغش والظلم والسخرية والاغتياب ، ففى الحديث: عن ابن عباس – رضى الله عنهما– عن النبـى ﷺ قال "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى" (٣)

ومن أهم الحقوق فى هذا الشأن ما يلى:

أ- حسن الخلق معها واحتمال بعض الأذى منها رحمة بها.

ب- الاعتدال فى الغيرة حتى لا يصل إلى سوء الظن والشك فى أمانة زوجته.

جـ- تعليمها ما تحتاج إليه من أمور دينها ودنياها إذا كانت تجهل ذلك.

د- السماح لها بزيارة أهلها وخاصة أبويها بالمعروف.

١- سورة البقرة : ٢٢٨

٢- سورة النساء : ٤

٣- رواه الترمذى وابن ماجه

هـ- الإذن لها بالخروج من البيت عند الحاجة ، كالخروج إلى المسجد وطلب العلم وزيارة الأقارب ...

و- عدم جمعها مع ضرتها فى مسكن واحد.

ى- بذل الوسع لإعفافها وملاطفتها وإدخال السرور عليها.

٣- العدل بين الزوجات:

فى حالة تعدد الزوجات يجب العدل بينهن فى المبيت والنفقة ، لقوله تعالى:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ﴾ (١)

ثانيا- حقوق الزوج:

١- طاعة الزوجة له ، إلا أن يأمرها بمعصية ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. قال ، وذلك لأن رسول الله ﷺ "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة"(٢)

٢- رعاية الزوجة لشئون بيته والأولاد ، لأنها راعية البيت وهى مسئولة عن رعيتها.

٣- أن تكون الزوجة أمينة عليه فى دينه وعرضه ، شرفه وماله ، ولا تخونه فى حضوره وغيبته.

٤- أن تعاشره بالمعروف ولا تلحق به أذى ماديا أو معنويا.

٥- أن تعمل الزوجة على إعفاف زوجها ، ولا تذهل عن ملاطفته بما يوفر له أسباب الحصانة النفسية من التشوف إلى غيرها.

٦- ألا تأذن لدخول أحد لبيته إلا بإذنه.

وجملة القول فإن كان ما يحقق الحياة الزوجية القائمة أساسا على المودة والرحمة ، يجب على كل من الزوج والزوجة بذله والسعى للقيام به.

١- سورة النساء : ٣

٢- رواه الترمذى وابن ماجه

تعدد الزوجات:

١- دليل مشروعيته:

قولـــه تعـــالى:﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ (١)

٢- حكم التعدد: ذهب جمهور العلماء إلى جوازه لقوله تعالى:

﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ (٢)

فالأصل هو الزواج بواحدة أما التعدد فلا يتحقق إلا بتوفر شرطين أساسيين.

أ-توفير العدل بين الزوجات والتسوية فى النواحى المادية بالنفقة وحسن العشرة ، قال تعالى:﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ﴾ (٣)

ب- القدرة على الإنفاق ، فلا يحل شرعا الإقدام على الزواج سواء بواحدة أو أكثر إلا بتوفر القدرة على المؤن لقوله ﷺ " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج" (٤)

٤- حكمة التعدد:

إن نظام وحدة الزوجة هو الأصل ومن ثم فهو الغالب ، أما تعدد الزوجات فهو أمر نادر استثنائى أباحته الشريعة الإسلامية لأسباب أهمها:

١- كثرة عدد النساء مقارنة بالرجال فى ظروف استثنائية كالحروب مثلا مع عدد الرجال ، وحينئذ إما أن تتزوج واحدة وتحرم الأخريات من حقهن الفطرى ، فيتخذن من الرجال المتزوجين أخلاء فى علاقات غير شرعية يكثر بسببها الإخلال وأولاد الزنى ، فلا مفر حينئذ من إباحة تعدد الزوجات مع توفر العدل والقدرة على ذلك.

١- سورة النساء : ٣

٢- سورة النساء : ٣

٣- سورة يس : ٣٦

٤- رواه الشيخان

٢- عقم المرأة أو مرضها ، وفى هذه الحالة قد يضطر الرجل إلى الزواج ، والأفضل للزوجة الأولى أن تبقى مرتبطة به موفورة الكرامة مع حفظ جميع حقوقها.

٥- تعدد زوجات الرسول ﷺ:

لقد خص الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بخصائص لم يشاركه فيها أحد وذلك تيسيرا له فى نشر دعوته ، ومن بين هذه الخصائص تزوجه وجمعه بين أكثر من أربع نسوة.

٦- الحكمة من تعدد زوجات النبى ﷺ:

أ- الحكمة التعليمية : فمن الغايات الأساسية من تعدد زوجاته هى تخريج بعض المعلمات للنساء حتى يعلمهن الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء.

ب- الحكمة التشريعية: تتمثل فى إرادة إبطال العادات الجاهلية المستنكرة مثل: بدعة التبنى.

ج- الحكمة الاجتماعية: وتظهر بوضوح فى تزوج النبى ﷺابنة أبى بكر وابنة عمر رضى الله عنهم- ثم اتصاله بقريش اتصال مصاهرة حتى يربط بين هذه الأقوام برباط وثيق.

د- الحكمة السياسية: لقد تزوج النبى ﷺ بعض النسوة ليؤلف القلوب حوله ، ومن ذلك تزوجه بالسيدة حويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق وكانت قد أُسرت مع قومها وعشيرتها ثم بعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفدى نفسها فجاءت إلى الرسول ﷺ تستعينه ببعض المال فعرض عليها الرسول ﷺ أن يدفع عنها الفداء ويتزوج بها ، فقبلت ذلك فتزوجها ، فقال المسلمون : أصهار رسول الله تحت أيدينا ، فأطلقوا سراحهم.

نساء النبى ﷺ:

خديجة بنت خويلد – عائشة بنت أبى بكر – أسماء – حفصة بنت عمر – زينب بنت جحش – أم سلمة – أم حبيبة – ميمونة بنت الحارث – جويرية بنت الحارث – صفية بنت حى ابن أخطب – زينب بنت خزيمة رضى الله عنهن.

موقف الإسلام من التعدد:

كان التعدد شائعا فى الجاهلية إلى غير ما عدد. وكان التعدد شائعا فى أوروبا حتى عهد شرلمان الذى كان متزوجا أكثر من واحدة ، وقد أشار رجال الدين فى ذلك الوقت على المتزوجين بأكثر من واحدة أن يخصصوا واحدة منهن كزوجة ويطلق على غيرها اسم (خدن). وهذا الاسم الأخير هو ما يطلق عليه الآن الخليلة أو الصديقة أو المعشوقة ...

وهى نظم تعرفها بعض الدول الغربية ويحق للشخص أن يمارس معهن الجنس ، وهى صور مسرفة من الانحراف عن الفطرة السليمة. فالتعدد عند مثل هذه الدول ممنوع من خلال الارتباط الشريف ، مباحا من خلال العلاقات غير الشرعية. وهذا يعنى تحريم الممارسة المشروعة عن طريق الاختلاط المحرم تحت زعم الحريات الشخصية. وقد تعرض موضوع تعدد الزوجات لهجوم زائف على الإسلام ، وقد كانت نقطة الانطلاق فى الهجوم الفهم الخاطئ للإسلام أو محاولة التشويه المتعمد للإسلام مع إعطاء أمثلة للممارسات السيئة لحق الرجال فى التعدد.

تلك الممارسات التى قد تبتعد عن الصورة الإسلامية الصحيحة التى استهدفتها الشريعة ، والواقع أن قضية التعدد كثيرا ما تكون فى صالح المرأة وتكريما لها ولأولادها. فإذا ما كان الزوج يرى فى زواجه إشباعا لحاجته الجسمية وحاجته النفسية ، وحاجته إلى الولد والمودة والرحمة والسكن ، قضى الأمر ، لكن فى بعض الحالات تعجز الزوجة الأولى عن الوفاء بكل حالات الزوج ، سواء الجسمية (الغريزية) أو النفسية (لا يجد معها إشباعاته النفسية) أو حاجاته إلى الولد والذرية الصالحة إما بسبب المرض أو العجز أو سوء الخلق ، والمعاملة .... إلى آخره. هنا يكون التعدد يقينا لصالح المرأة –الزوجة الأولى– حيث يبقى عليها مع البحث عن إشباع حاجاته من خلال الزواج الثانى. يضاف إلى هذا الحاجة النفسية لدى الرجل للتعدد ، وهنا بدلا من أن يتصل الرجل –إشباعا لحاجاته النفسية والجسمية – بالنساء بشكل غير مشروع أباح له الإسلام حق التزوج ثانية ليغض نفسه من الانحراف والذلل.

والتعدد ظاهرة شائعة فى العالم كله ، أما الإسلام فإنه يبيحه بشكل مشروع وبشروط معينة بكل ما يترتب عليه من حقوق مشروعة للزوجة والأبناء – مع الاحتفاظ للزوجة الأولى بكرامتها وحقوقها كاملة. وقد يمر المجتمع بظروف تحتل فيه نسبة الإناث إلى الرجال بسبب ما يتعرض له الرجال من ظروف شاقة فى العمل ومع إبادة فى الحروب ، هنا بدلا من لجوء النساء اللاتى لا يجدن زواجا للانحراف يكون العلاج فى التعدد. وإذا كان التعدد ظاهرة تاريخية ومعاصرة لم يخل منها مجتمع – سواء بشكل مشروع أو غير مشروع – فإن الإسلام وضع لها ضوابط وقواعد تجعل منها علاجا لمشكلة أو وقاية من انحراف. هذه الضوابط تتمثل فى أمرين أساسيين هما:

أ- وضع حد أعلى للتعدد يكفل حاجة الرجل بشكل يتخطى الفترات التى تنعدم فيها قابلية المرأة.

ب- أوجبت على الرجل أن يعدل فى مطالب الحياة بين هذه الزوجات تحقيقا للهدوء والاطمئنان وتجنبا للظلم والانحراف ، قال تعالى:

﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [١]

وليس معنى هذا التحريم التعدد لكن إباحته بشرط تحقيق العدالة بين الزوجات بمعنى ألا يميل الزوج إلى إحداهن كل الميل بحيث يترك الثانية كالمعلقة. وتتضح عظمة وواقعية الإسلام أن كثيرا من المجتمعات تحاول مراجعة تشريعاتها اليوم للاستفادة من الحلول الإسلامية ، ذلك لأن منع التعدد أدى إلى الكثير من الظواهر الانحرافية – فى المجتمعات الغربية منها البغاء وارتفاع نسبة اللقطاء وتفكك العلاقات وانتشار الأمراض النفسية والجنسية.

١- سورة النساء : ١٢٩

الصلح بين الزوجين:

إن الإسلام أحاط الأسرة بسياج من الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين من شأنه أن يمنح بيت الزوجية حظوظا أوفر فى البقاء والاستمرار ... غير أن الاستخفاف بهذه الحقوق يفقد البيت استقراره ويجعله يعيش حالة من الخصومات يهدد تكرارها كيان الأسرة مما يستدعى التدخل العاجل من خلال محاولة "الصلح" لإنقاذ الحياة الزوجية من الأضرار التى يمكن أن تلحق بها.

١- الصلح الداخلى أولا:

قد يحدث بين الزوجين سوء تفاهم ، وقد تركب الزوجة رأسها وتتمادى فى رعونتها حتى تصير ناشزا ، وفى هذه الحالة على الزوج أن يكون حكيما فى معالجة نشوز زوجته فى الإطار الذى يحفظ كرامتها كإنسان ، ومكانتها كزوجة ، مما من شأنه أن يكسر حدتها ويعيدها إلى رشدها ... ومن جهته قد ينفر الزوج من زوجته أحيانا مما يقتضى منها أن تكون فطنة لكل ما يمكن أن يحببها إليه من عذوبة لفظ و، ورقة طبع ، وحسن سلوك .. المهم أن يحاول الزوجان أن يصلحا ما فسد بينهما داخليا ، فذلك أحفظ للسر ولكرامة بيت الزوجية . قال تعالى:

﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [١]

حتى إذا أخفقت كل المحاولات الداخلية ، وتفاقمت الخلافات وخيف على البيت من الانهيار ، فلا مناص حينئذ من اللجوء إلى جهة أخرى خارج بيت الزوجية...

٢- حكم الصلح بين الزوجين:

واجب كفائى فى حق أقارب الزوجين ، فالأصل ألا يبقى أهل الزوجين مكتوفى الأيدى ، ويكتفوا بدور المتفرج ، وهم يرون بوادر الانهيار ونذر الطلاق تتلاحق ، بل الواجب أن يتحملوا قدرا من المسئولية فيما يتعلق ببقاء أو زوال البيت.

١- سورة النساء : ١٢٨

٣- **دليله**: قوله عز وجل:﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴾[١]

٤- الحكمة التشريعية من الصلح:

شرع الله – تعالى – الصلح بين الزوجين من أجل دفع الضرر الأكبر وهو الطلاق وما يتبعه من أضرار ومفاسد تعود على الزوجين والأولاد والأقارب.

٥- مواصفات الحكمين:

إن عملية الإصلاح بين الزوجين ، وإعادة الحياة طبيعية بينهما من الصعوبة بحيث لا يستطيع أن ينبري لها إلا من توفرت فيه جملة من الخصائص النفسية والمعرفية ، نذكر منها:

١- أن يكونا عدلين فقيهين بكيفية الصلح وطرفه.

٢- يستحسن أن يكون الحكمان من أقارب الزوجين ، ولا يشترط ذلك ، وإنما يستحسن ذلك للاعتبارات التالية:

- كون القريب أعلم بأحوال الزوجين ، وأحفظ للأسرار من غيره.
- الزوجان يرتاحان إلى القريب أكثر من الغريب ، فيطلعانه على الأسرار التى قد يخفيانها عن الغريب ، ورب سر هو مفتاح المشكلة.
- القريب ، فى غالب الأحيان ، أحرص من غيره على الإصلاح.
- أن يتمتعا بقدر كبير من الصبر وسعة الصدر.

ما يفعله الحكمان:

على الحكمين أن يبذلا ما فى وسعهما ويستفرغا جهدهما فى سبيل الإصلاح بين الزوجين ، وعليهما أن يتبعا كل طريقة ، ويشكرا كل وسيلة تمكنهما من إعادة المياه إلى مجاريها واستعادة الحياة الطبيعية بين الزوجين. فإذا تبين لهما أن عملية الصلح قد أمست مستحيلة ، وأن عودة الزوجين إلى بعضهما قد باتت غير ممكنة ، حكما بالطلاق ونَفَّذ حكمهما.

١- سورة النساء : ٣٥

المبحث الخامس

الإسلام والطلاق

الطلاق حل لعقدة ، وبت حبال ، وتمزيق شمل ، وزيال خيط ، وانقضاض سامر ، فيه كل ما فى هذه المركبات الإضافية التى استعملها شعراء العرب ، وجرت فى أدائهم العاطفية مجرى الأمثال ، من التياع وحرارة ، وحسرة ومرارة ، ويزيد عليها جميعا بمعنى آخر ، وهو ما يصحبه من الحقد والبغض والتألم والتظلم.

لهذه الملابسات التى هى من مقتضيات الفطر السليمة ، والطباع الرقيقة ، شرعه الإسلام مقيدا بقيود فطرية حكيمة ، وقيود شرعية قويمة ، اعتمد فى تنفيذها بعد فهم المراد منها على إيمان المؤمن ، وشرع له من المخففات ما يهون وقعه كالتمتيع ومد الأمل بالمراجعة ، وتوسيع العصمة إلى الثلاث ، حتى تمكن الفيئة إلى العشرة ، وما وصفه فى القرآن بالسراح والتسريح والإحسان ، إلا تلطيف إلهى فى أسلوب معجز يبعث فى النفوس المؤمنة نفحات تلطف ، وما تزال تلطف من غلظ الإحساس وعرام الحيوانية حتى يصير الطلاق "عملية بلا ألم"

والزواج عقد بين قلبين ، ووصل بين نفسين ، ومزج بين روحين – وفى الأخير – تقريب بين جسيمين ، فإذا تراخت عراه بين القلبين ضاعت حكمة الله فى السكون والرحمة والعطف ، وهنا يدخل العقل مصلحا بلغة المصلحة والتعاون والإحسان ، وشفاعة النسل (إن كان) ، فإذا زاغت الفطرة من أحد الزوجين عن محورها ، أو طغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الإنسانية فى أحدهما أو كليهما ، ولم يقم العقل وحده أو مع الحكمين ، بإصلاح ذات البين ، فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمل هذا النوع من العذاب النفسى ، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا ، وطبعين لم يتحدا ، وروحين لم يتعارفا ، لذلك شرع لهما الطلاق ليستريح إليه من ضاق ذرعا بصاحبه ضيقا معقولا بدواعيه وأسبابه ، ولما كان من بعض أسباب الطلاق ما يزول فتتجاوب النفسان من جديد ، وتتراجعان الحنين إلى العشرة ، وشرع الإسلام تلك المطلقات التى ذكرنا بعضها ، والتى تبقى على أصل الصلة ، وتحفظ "خط الرجعة" .

لقد جهل المسلمون حقائق دينهم ، وجهلوا الحكم المنوطة تحت أحكامه ، ومن أسباب ذلك جفاف الفقه عند الفقهاء لأخذهم إياه من كتب تعلم الأحكام ولا تبين الحكم ، فأثر ذلك فى نفوس المتفقهه – وهم مرجع العامة فى سياسة الإفتاء – آثارا سيئة ، منها اعتبار تلك الأحكام تعبدية ، تحفظ ألفاظها ، ولا يتحرك الفكر فى التماس عللها ، وطلب حكما ، وتعرف طلب الإسلام منها ، وتصفح وجوه المصلحة والمفسدة فيها . وزاد الطين بلة وضع منحرف لمكان الزوجة متزوجها ، حتى أصبح متخلخلا متزلزلا لا استقرار له ، وما جاء هذا الخلل إلا من سوء فهم من الرجل ، انبنى عليه سوء تصرف منه فى الحق الذى خوله الشارع ، وهو أنه يملك العصمة ، وما جاء سوء الفهم من سوء التفهيم من الفقيه ، فالفقيه لا يعرف إلا العصمة بيد الزوج ، لأنه لا يجد فى كتب الفقه إلا هذا ، وهو حق فى أصل الشريعة ، ولكن الإسلام لا يعطى هذه الحقوق أو هذه الامتيازات إلى الجاهلين المتحللين من قيود الإسلام ، فهو لا يقل شناعة وسوء أثر من إعطاء السلاح للمجانين.

أيها المسلمون :

إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة ، يحافظ عليها الأحرار ، ويتلاعب بها الفجار ، وإن العصمة امتياز لرجالكم ، ما لم تطغوا فيه وتظلموا ، فإذا طغيتم فيه وجرتم عن القصد ، كما هى حالتكم اليوم ، انتزعه منكم القضاء الإسلامى العادل لو كان. فإذا لم يكن عاقبكم الله بعذاب الخزى .

إن الأمة لا تنعم بأطفالها صغارا ، ولا تنتفع بهم كبارا ، إلا إذا نشأوا متقلبين فى أحضان الآباء والأمهات ، متلقين لدروس العطف والحنان من قلبين متعاطفين ، لا من قلب واحد. أيدرى المتساهلون فى الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمتهم؟

العــدة

إذا ما حصلت فرقة بين الزوجين بطلاق أو وفاة فإن آثار الزوجية لا تزول دفعة واحدة ، بل منها ما يتأخر زواله إلى حين ، وليس ذلك اعتباطيا ، وإنما لحكم

أرادها منشئ الأنفس عز وجل ... من ذلك المدة الزمنية التى تتربص فيها المرأة المفارقة لزوجها والتى نسميها "عدة".

أولا – تعريفها:

– **العدة لغة** : مأخوذة من العد بمعنى الحساب والإحصاء.

– **العدة شرعا** : هى تربص المرأة مدة معلومة مقدرة شرعا علامة على براءة رحمها ، وفيها نوع من التعبد.

ثانيا- حكمها:

العدة واجبة شرعا ، لأدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

فقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ (١)

أى حتى تنتهى العدة – هذا بالإضافة إلى الآيات الكثيرة التى بينت أنواع العدد ومدتها ، والتى سنتعرض لها لاحقا.

– من السنة أمر النبى ﷺ فاطمة بنت قيس أن تعتد فى بيت ابن أم مكتوم – رضى الله عنه. (٢)

ثالثا- الحكمة التشريعية من العدة:

أ– فى الطلاق البائن : هو معرفة براءة الرحم للتأكد من أن المرأة ليست حاملا من زوجها الأول ، لئلا تختلط الأنساب ، من أجل ذلك لم تشرع العدة على المرأة المطلقة التى لم يدخل بها زوجها.

ب– فى الطلاق الرجعى: إضافة إلى ما سبق ، فالعدة فرصة لهدوء الأعصاب وذهاب الغضب وزوال التوتر ، فإذا تحقق هذا أمكن للزوجين أن يتراجعا.

ج– فى عدة الوفاة: إضافة إلى ما سبق فى عدة الطلاق البائن ، فعدة الوفاة احترام لمشاعر زوجة فقدت أقرب مخلوق إليها ، فكان تشريع العدة تقديرا لموقفها ، وفسحة زمنية حتى يخف وقع المصاب على نفسها.

١– سورة البقرة : ٢٣٥

٢– رواه أحمد وأبو داود والنسائى

رابعا- أنواع العدة ومقاديرها:

١- **عدة الحوامل** : هو أن تضع حملها سواء كانت مطلقة أو مات عنها زوجها ، قال الله تعالى:

﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ (١)

٢- **عدة المتوفى عنها زوجها**: أن تنتظر أربعة أشهر وعشرة أيام من يوم وفاة زوجها ، قال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (٢)

وفى السنة: عن أم حبيبة – رضى الله عنها – قالت : سمعت النبى ﷺ يقول " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا" (٣)

٣- **عدة المطلقة التى تحيض**: تقدر بثلاثة قروء – أى ثلاثة أطهار – فإذا طلقت وهى طاهر احتسب بقية الطهر قرءا واحدا ، ثم تحيض وتطهر ، ثم تحيض وتطهر ، وهنا تنتهى عدتها.

٤- **عدة المطلقة التى لا تحيض**: إذا كانت المرأة لا تحيض أصلا لكبر سن ، فعدتها ثلاثة أشهر ، لقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ (٤)

٥- **عدة المرتابة والمستحاضة**: المرتابة هى التى كانت تحيض ثم انقطع حيضها ، واستمر مدة غير معتادة ، والمستحاضة هى التى اختلط عليها دم الحيض بدم المرض ، ولم تعد تفرق بينهما. وعدة هاتين المرأتين أن تنتظر سنة كاملة.

١- سورة الطلاق : ٤

٢- سورة البقرة : ٢٣٤

٣- رواه الشيخان

٤- سورة الطلاق : ٤

٦- **عدة المفقود زوجها:** إذا غاب الزوج وانقطعت أخباره ، ولم يعلم أحى هو أو ميت ، انتظرت حتى يصدر القضاء فى حقه الميت الحكمى ثم تعتد عـــدة الوفـــاة (أى أربعة أشهر وعشرة أيام).

خامسا: **تداخل العدد**:

- المرأة المطلقة طلاقا رجعيا ثم مات زوجها وهى فى العدة ، انتقلت إلى عـــدة الوفاة ، أما إذا كان الطلاق بائنا فإنها تكمل العدة بالإقراء أو بالأشهر ، وذلـــك لانقطاع الزوجية بينهما.
- إذا شرعت فى العدة بالإقراء أو بالشهور ثم ظهرت عليها أعـــراض الحمـــل انتثلت إلى العدة بوضع الحمل.
- إذا شرعت فى عدة الوفاة ثم ظهر لها الحمل انتقلت إلى العدة بوضع الحمل.

الخلع وأحكامه

إن الشارع الحكيم لم يهمل جانب المرأة بل شرع لها طريقا للخلاص من حياة زوجية لا تجد فيها راحتها واستقرارها ، فجعل لها أن تفتـــدى نفســـها بمـــال تدفعـــه لزوجها تعويضا له عما دفعه إليها حتى لا يضار هو الآخر ، وهـــذا الافتـــداء هـــو المسمى بالخلع عند جمهور الفقهاء.

أولا – تعريفه:

الخلع لغة: هو الإزالة ، يقال : خلع الرجل ثوبه إذا أزاله ، والزوجان كل واحد منهما لباس للآخر ، قال الله تعالى:

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[١]

فإذا افترقا فقد خلعا لباس الزوجية.

١- سورة البقرة : ١٨٧

ثانيا – حكمه:

الجواز والإباحة كالطلاق ، وقد ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة.

– **من الكتاب** قوله تعالى:

﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ ﴾ (١)

– **من السنة** : عن ابن عباس – رضى الله عنهما (أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام فقال رسول الله ﷺ أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ اقبل الحديقة وطلقها تطليقة) (٢)

ولا يمكن أن نمر على هذا الحديث دون أن نسجل ما يلى:

– أن المرأة عبرت عن عواطفها بكل حرية وطلاقة وبدون أى عقدة فى حضرة النبى ﷺ مما يوحى أن مجتمع عهد النبوة كان خاليا من العقد ومن أى شكل من أشكال الكبت.

– إن من واقعية التشريع الإسلامى اعتبار الجانب العاطفى مقوما أساسيا من مقومات الحياة الزوجية ، وهذا الذى يفسر عدم إنكار النبى ﷺ على المرأة طلبها الانفصال رغم ما شهدتن به لزوجها من استقامة وحسن عشرتها.

– إنصاف هذه المرأة لزوجها بذكرها محاسنه رغم رغبتها فى الانفصال ، وكذا خوفها الشديد من عدم إيفائه حقه فى الخدمة وحسن المعاشرة واعتبارها ذلك كفرا يعكس معدن هذه المرأة نتاج التربية الإسلامية الصحيحة. علما بأن رسول الله ﷺ قد حذر المرأة من طلب الخلع لغير حاجة ففى الحديث: (أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة) (٣)

١– سورة البقرة : ٢٢٩

٢– رواه البخارى

٣– رواه ابن ماجه والترمذى

ثالثا- الحكمة التشريعية:

إن الزوجة قد تبغض زوجها ولا تجد فى المقام معه ما كانت تنشده أو وتشتد كراهتها له ، بحيث تخشى ألا توفيه حقه أو تخرج عن الطريق المستقيم فى معاملته ، وهى لا تمتلك الطلاق فأخرجها الشارع من هذا المخرج ، وشرع لها الافتداء للتخلص من رابطة الزوجية على وجه لا رجعة فيه. وهذا تشريع روعى فيه مصلحة الطرفين معا ، فالمرأة تأمن من الاستمرار فى علاقة لا ترغب فيها ، والرجل يعوض عن الضرر المادى الذى لحق به.

رابعا- أركانه:

- الزوجة : ويشترط أن يكون الخلع منها اختياريا وحبا فى الفراق من غير إكراه.
- الزوج : ويشترط أن يكون فى كامل قواه العقلية حين الخلع.
- العوض : وهو ما تدفعه المرأة للزوج ، وقد يكون مساويا للصداق أو أكثر منه أو أقل حسب الاتفاق بينهما.
- الصيغة : كأن يقول الزوج : خالعتك ، أو طلقتك مقابل العوض الذى تدفعينه...

خامسا- بعض أحكام الخلع:

- يصح الخلع فى أيام الحيض ، بخلاف الطلاق.
- لا يحتاج الخلع إلى حكم القاضى ، ويمكن أن يتم باتفاق الزوجين فقط.
- من طلبت الخلع من زوجها ، ودفعت له العوض ، وثبت أنها فعلت ذلك بسبب إضرار الزوج بها كان لها الحق فى استرجاع العوض.
- يقع الخلع طلاقا بائنا بينونة صغرى ، وعليه لا يمكن للزوجين أن يتراجعا إلا بعقد جديد.

البيوت التى تبنى على الحب

هناك معالم ثلاثة ينبغى أن تتوفر فى البيت المسلم ، أو أن تظهر فى كيانه المعنوى ليؤدى رسالته ويحقق وظيفته ، هذه الثلاثة هى السكينة والمودة والتراحم. وأعنى بالسكينة الاستقرار النفسى ، فتكون الزوجة قرة عين لرجلها لا يعدوها إلى

أخرى كما يكون الزوج قرة عين لامرأته لا تفكر فى غيره. أما المودة فهى شعور متبادل بالحب يجعل العلاقة قائمة على الرضا والسعادة ..

ويجئ دور الرحمة لنعلم أن هذه الصفة أساس الأخلاق العظيمة فى الرجال والنساء على سواء فالله – سبحانه وتعالى – يقول لنبيه ﷺ : فليست الرحمة لونا من الشفقة العارضة ، وإنما هى نبع للرقة الدائمة ودماثة الخلق وشرف السيرة.

وعندما تقوم البيوت على السكن المستقر ، والود المتصل ، والتراحم الحانى ، فإن الزواج يكون أشرف النعم ، وأبركها أثرا..

وسوف يتغلب على عقبات كثيرة ، وما تكون منه إلا الذريات الجيدة. لقد شعرت أن أغلب ما يكون بين الأولاد من حقد وتناكر يرجع إلى اعتلال العلاقة الزوجية ، وفساد ذات البين.

إن الدين لا يكبت مطالب الفطرة ، ولا يصادر أشواق النفس إلى الرضا والراحة والبشاشة ، وللإنسان عندما يقرر الزواج أن يتحرى عن وجود الخصال التى ينشدها وأظن ذلك حق المرأة فيمن تختاره بعلا .. فإذا صدق الخبر الخبَر صح الزواج وبقى ، وإلا تعرض مستقبله للغيوم.

وقد لاحظت أن الخطب قد يتكلف أخلاقا إلى حين ، فإن كان غضوبا تصنع الحلم ، وإن كان شحيحا تصنع الكرم. حتى إذا زفت إليه امرأته انكشف المخبوء ، وبدت خلائقه الطبيعية ، وفوجئت المرأة بما لم تكن تعهد ، فإذا هى تقول مع الشاعر المدهوش:

كل يوم تبدى صروف الليالى   خلقا من أبى سعيد عجيبا

وقد يعطى الموافقة على مهر معين يجعله فى ذمته ، فإذا تم العقد والدخول نسى الوفاء بما تعهد به ، ، وقد حذر الإسلام من أنواع الغدر التى يلجأ إليها ضعاف النفوس ، وفى الحديث الشريف : " أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ، ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها ، خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها ، لقى الله تعالى يوم القيامة وهو زانٍ ، وأيما رجل استدان دينا لا يريد أن يؤدى إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله ، فمات ولم يؤد دينه ، لقى الله وهو سارق"

إن الزواج ليس نزوة عابرة ، إنه صحبة دائمة وميثاق غليظ ، وشركة فى حياة لا تتحمل هزلا ولا عبثا ، فما ارتبط به الزوج أو الزوجة من شروط لا يسوغ فيه تحريف ولا تقصير ..

والوفاء بالمهر ليس إلا مثلا يذكر لما يجب أن يكتنف الزوجية من صدق وشرف ، ولو أن رجلا عرض نفسه على أنه حليم أو سمح فليثبت على هذه الخلال التى ادعاها ، وليتكلفها إن لم تكن فيه ، فإن بركات الله تنزل على أهل الصدق ، وتجعل المعيشة أحلى وأبقى .. بل إن المرأة قد تتنازل عن حقها المالى كله أو بعضه عندما ترى زوجها كريم الشمائل نبيل السجايا ، والتى تعطى نفسها لا تضمن بمال ..

وهناك رجال يحسبون أن لهم حقوقا ، وليس عليهم واجبات ، فهو يعيش فى قوقعة من أنانيته مآربه وحدها ، غير شاعر بالطرف الآخر ، وما ينبغى. والبيت فى المسلم يقوم على قاعدة عادلة : وهى درجة القوامة أو رياسة هذه الشركة الحية .. وما تصلح شركة بدون رئيس.

وبداية أن تكون هذه الرياسة ملغية لرأى الزوجة ، ومصالحها المشروعة أدبية كانت أو مادية ..

إن الوظيفة الاجتماعية للبيت المسلم تتطلب مؤهلات معينة ، فإذا عز وجودها فلا معنى لعقد الزواج ، وهذه المؤهلات مفروضة على الرجل وعلى المرأة معا ، فمن شعر بالعجز عنها فلا حق له فى الزواج.

إذا كانت المرأة ناضبة الحنان ، قاسية الفؤاد ، قوية الشعور بما لها ، بليدة الإحساس بمكالب غيرها فخير لها أن تظل وحيدة ، فلن تصلح ربة بيت. إن الزوج قد يمرض وتزيد عليه العلة ، فتضيق به الممرضة المستأجرة ، المفروض أن تكون زوجته أصبر من غيرها وأظهر بشاشة وأملا ودعاء له.

ومنطق الحب الشريف يعطى من الوفاء والولاء ما لا تعرفه القوانين التجارية والمبادلات المنفعية ، وما أكثر أن يفتدى الرجل بيته بحياته وتفتدى المرأة بيتها بحياتها ..

وما نقوله بالنسبة إلى المرأة نقوله بالنسبة إلى الرجل ، فالعاجز عن أعباء الأسرة المادية والأدبية لا يجوز له أن يتزوج وليسمع نصيحة الرسول الكريم ﷺ "**فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**" أى قاهر لغريزته.

المبحث السادس

سلام المجتمع وأمنه

من المبادئ التى تقوم عليها الحياة فى المجتمع الإسلامى المسئولية الاجتماعية ، وأساسها أن الفرد فى المجتمع ليس مسئولا عن نفسه وحدها ، ولكنه مسئول عن مجتمعه ، ومحاسب على تفريطه فى حقه.

قال رسول الله ﷺ " **كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته**" (١)

وهناك علاقة عضوية بين الفرد والمجتمع ، لأن الفرد عضو فى جسم المجتمع الإسلامى ، فإذا ضعف الفرد ضعف المجتمع ، وإذا قوى الفرد قوى المجتمع ، مثله فى ذلك مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تألمت له جميع الأعضاء.

وهى علاقة إنسانية ؛ لأن الإنسان المسلم لم يخلق ليأكل ويشرب ويتمتع فحسب ، ولكن ليكون إنسانا ، له علاقات إنسانية بغيره من أبناء مجتمعه ، كما أنها علاقة منفعة متبادلة ، لأن خير الفرد راجع إلى المجتمع ، وخير المجتمع راجع إلى الفرد ، دون ظلم أو إجحاف ، ولذا .. كانت صلة الفرد بالمجتمع صلة وثيقة ، فالمسلمون أخوة ، والفرد مسئول عن مجموع إخوته ، وعليه واجبات نحو الجماعة ، فكل فرد عليه:

أ) أن يؤدى عمله على خير وجه ، لأن ثمرة عمله عائدة على الجماعة فى النهاية ، وسواء أكان العمل حكوميا أو خاصا ، وسواء أكان جماعيا أو فرديا ، فالمزرعة والمصنع والمتجر والشركة والمؤسسة –أيا كان نوعها – عليها أن تؤدى عملها وتطوره وتنميه بإتقان وإخلاص.

ب) أن يرعى مصالح الجماعة كأنها مصلحته الخاصة ، وأن يصون المجتمع بكل الوسائل ، وأن يتعاون مع غيره لتحقيق الخير لنفسه وللجماعة ، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أحباء بعض ، يأتمرون بما يأمر به الدين ، وينهون عما ينكره الدين ، ويطيعون الله ورسوله فى كل أمر ، ويجتنبون ما نهى الله ورسوله عنه.

١- رواه البخارى

قال الله- تعالى -:

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٧١ ﴾[١]

وليس هناك شك فى أن هذه الصلة الوثيقة بين الفرد والمجتمع ، هى التى تحقق أهدافه فى الإصلاح والبناء والتقدم. قال رسول الله ﷺ "**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**"[٢]

أمن المجتمع:

إن من أهم ما يتطلع إليه المجتمع الإسلامى ، أن يعيش فى أمن ، وأن ينعم بالاستقرار الذى يمكنه من السعى والعمل ومضاعفة الإنتاج ، وتحقيق مجتمع الرفاهية والرخاء ، وتنمية الموارد ، ودعم الاقتصاد ، لأن الاقتصاد القومى يحفظ للأمة الإسلامية مكانتها فى عالم اليوم ، وعالم المستقبل ، ولكى يتحقق ذلك .. وجب على المجتمع الإسلامى أن يكون خاليا من الفساد والمفسدين ، وأن يكون بعيدا عن الفتن التى تهدم البنيان ، وتقوض الأركان. والمجتمع الإسلامى ينتظر من المؤمنين ألا يثير بعضهم فتنة تصيب بشر من أثارها ، ويمتد خطرها إلى البرئ وغير البرئ وربما أثر فى كيان الأمة ، وهذا يحتم على المجتمع أن يحارب الفساد والمفسدين ، وأن يتصدى لكل انحراف خلقى أو سياسى ، أو بدع تخالف مبادئ الدين ؛ لأن ذلك كله أمراض وعلل ، لا تصيب أصحابها فقط ؛ وإنما تصيب أبناء الأمة جميعا.

قال – تعالى- :

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[٣]

١- سورة التوبة : ٧١

٢- رواه البخارى

٣- سورة الأنفال : ٢٥

ومن أمثلة العمل الجماعى فى سيرة رسول الله ﷺ الهجرة النبوية الشريفة مـن مكـة إلى المدينة ، فهى فى أحداثها وحركتها ووقائعها ، لم يقم بها النبى ﷺ منفردا ، وشاء الله أن يقوم بها مع قلة قليلة ممن آمنوا به ، ولعل الحكمة فى أن الهجرة كانت عمـلا جماعيا ، هى فى اتخاذ هذا العمل قدوة للمؤمنين ، ليعلموا أن العمل فى حاجـة إلـى أفراد تتكاتف جهودهم لإنجازه ، وتتحد طاقتهم لتحقيقه.

فالإنسان قليل بنفسه ، كثير بإخوانه ، والفرد مهما بلغت قدرته فى حاجة إلى مساعدة الآخرين.

وتصور مثلا أنك أرت أن تقيم مشروعا لصناعة الملابس الجاهزة ، فإنـك لا تقـدر عليه وحدك ، لأن طاقتك محدودة ، ولا تستطيع أن تقوم بكل الأعمال ، فأنت محتـاج إلى من يفصل الملابس ، ومن يخيطها ، ومن يجمعها ، ومـن يغلفهـا ويبيعهـا ... وهكذا تمضى حياة المجتمع بتعاون أفراده وتكاتفهم مع بعضهم البعض.

المبحث السابع

صفات يتحلى بها المؤمن

إن الخلق الكريم هو الهدف الأساسي والرئيسي لرسالة الإسلام ،كما يعبر عنه الرسول –عليه السلام – في حديثه الشريف :" إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق" وهـذا الخلق الكريم دليل الإيمان وثمرته ، ولا قيمه لإيمان من غير أخلاق ،وإلـي المعني أشار الرسول – صلي الله عليه وسلم – بقوله "ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر فـي القلب وصدقه العمل" وسئل رسول الله –عليه الصلاة والسلام – ما الدين ؟

ومن تلك الصفات التي يتصف بها المؤمن :

١–التحلي بآداب الزيارة ٢–آداب الطريق

٣– صون اللسان واليد ٤–الاعتماد علي النفس

آداب الزيارة

يحرص الإسلام دائما علي إيجاد علاقات طيبة بين أفراد المجتمع ، كما يحـرص علي استئصال الأسباب التى تفسد هذه العلاقات ..

وكلنا يعلم أن هناك بعض العادات والآداب الاجتماعية تكون طريقـا طيبـا لإيجـاد علاقات طيبة بين الناس ، ومنها : "آداب الزيارة"

وآداب الزيارة ضرورة اجتماعية وسمة خلقية ، وقد وضح القرآن الكريم قواعدها فى الآيتين (٢٧ – ٢٨) من سورة النور. يقول الله – تعالى – :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[١]

فالله – تعالى – قد جعل البيوت سكنا ، يفئ إليها النـاس ، فتسـكن أرواحهـم وتطمئن نفوسهم ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم ، والبيوت لا تكون كذلك إلا حـين

١– سورة النور : ٢٧ – ٢٨

تكون حرما آمنا لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم ، وفى الوقت الذى يريدون ، وعلى الحالة التى يحبون أن يلقوا عليها الناس ، لذلك أمرنا الله – تعالى – بالاستئذان عند دخول بيوت غيرنا.

وليس أمر الاستئذان مقتصرا على دخول المرء فى دار غيره ، بل الأمر أيضا عندما يريد المرء أن يدخل بيت بعض أقاربه الأقربين ، حتى لو كان بيتا ليس فيه إلا أمه وأخواته ، **(فعن عطاء بن يسار ، أن رجلا قال للنبى – صلى الله عليه وسلم – : أأستاذن على أمى؟ قال الرسول ﷺ نعم ، قال الرجل : إنها ليس لها خادم غيرى ، أفأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال الرسول ﷺ أتحب أن تراها عريانة ؟ قال الرجل : لا، قال الرسول ﷺ : فاستأذن عليها)**

- ومن آداب الزيارة ألا يلح الزائر فى الاستئذان أو يلتزم باب الدار إن لم يجد الإذن من صاحبها ، بل عليه إن لم يجد الإذن من صاحب البيت أو أبى مقابلته – أن يرجع ، دون أن يكون فى نفسه كراهية لصاحب البيت ، لأن من حق كل إنسان أن يمتنع عن مقابلة من يشاء إذا كان ظروفه لا تسمح بمقابلته ، أو يعتذر إليه إن كان مشتعلا بأمر يمنعه من الفراغ لمقابلته.

وقد جعل الرسول ﷺ حق الخلوة للإنسان حقا عاما ، فلا يجوز لأحد لأن يقرأ رسالة الآخر بدون إذنه ، وهذا ما يحقق العلاقات الطيبة بين الأفراد.

- ومن آداب الزيارة أن تختار الوقت المناسب للزيارة ، فمن المستحسن ألا تكون الزيارة فى الصباح الباكر ، أو فى وقت القيلولة ، أو فى وقت متأخر من الليل ، وحبذا لو تم إخطار صاحب البيت بموعد الزيارة ، إذا كان ذلك ممكنا ، حتى يستعد لاستقبال زائره ، كما أنه لابد من مراعاة الوقت ، بحيث لا تطول مدة الزيارة ، وخصوصا إذا كان صاحب البيت من أصحاب الأعمال الذى يحتاج إلى وقته.
- ومن آداب الزيارة أن تحيى صاحب البيت ، وأن يسلم عليه ، وعلى صاحب البيت أن يحسن استقبال الزائر ، وأن يرد تحيته بأحسن منها ، وأن من يكرم ضيفه ويحترمه ، ويظهر له الفرحة بزيارته ، وأن يودعه بالبشاشة عند انتهاء زيارته.

- ومن المستحسن ألا تكون الزيارة فى أماكن العمل ، وإلا للضرورة ، وحينئذ تكون فى وقت قصير ، حتى لا يترتب عليها ضياع الوقت وتعطيل الأعمال .. والإسلام – كما نعلم – يدعو إلى العمل ، وإلى احترام الوقت.

آداب الطريق

للطريق آداب حث الإسلام المسلم أن يلتزم بها ، وأن يحرص على أدائها ، ويتصف بها. فالمسلمون يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ، ليس فيها تكلف ، ولا تصنع ، ولا خيلاء ، ولا تخلع ، لأن المشي يعبر عن الشخصية ، وعما يستكن فيها من مشاعر ، والنفس السوية المطمئنة الجادة تخلع صفاتها على مشية صاحبها ، فيمشي مشية فيها وقار وسكينة ، وفيها جد وقوة ، ولهذا وصفهم الله تعالى – بقوله :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾(١)

وليس المقصود ألا يمشى المؤمنين أذلاء منكسي الرءوس، بل المطلوب من المسلم أن يمشي في وقار، وقوة بلا تكلف.

– ومن آداب الطريق أن تقرىء السلام على من تعرفه ومن لم تعرفه ، فتقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أن رجلا سأل النبي – عليه السلام –،قال : أي الإسلام خير ؟ قال الرسول: " **تطعم الطعام وتقريء السلام على من عرفت ومن لم تعرف**"

والتسليم يكون من الراكب على الماشي على القاعد ، ومن القليل على الكثير.

" يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير "

ومن الواجب على من ألقي عليه السلام – أن يرد السلام بأحسن منها ، استجابة لقول الله – تعالى–:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾(٢)

١– سورة الفرقان : ٦٣

٢– سورة النساء : ٨٦

ومن آداب الطريق أن يحفظ المؤمن حق الطريق ، من : غض البصر ، وكف للأذى ، ورد للسلام ، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " إياكم والجلوس في الطرقات ، فقالوا يا رسول الله : مالنا من مجالسنا بد ، وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويدخل في هذا – طبعا – عدم التسكع في بر ، وعدم الوقوف على نواصي الطرق لمعاكسة الفتيات وإيذائهن بالكلمات القبيحة ، وأيضا عدم رفع الصوت. قال تعالى:

﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[1]

ومن آداب الطريق أن يتجنب الإنسان أخطار الطريق ، وذلك بأخذ الحذر من السيارات والمشي على الرصيف ، لعموم قوله – تعالى –:

﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[2]

ومن التزام المسلم بآداب الطريق ألا يلقى على الأرض ما يؤذي الناس ، مثل القاذورات والأشياء التي تسبب الانزلاق على الأرض أو غير ذلك ،مما يؤذي الناس ، أو يشوه منظر الشارع ، كما يجب عليه ألا يتلف شيئا من المرافق العامة وإنما يحافظ غليها أو يعمل علي حمايتها .

ومن العادات السيئة : أن يمارس بعض الأولاد الكرة في الشارع ، فقد تصيب الكرة طفلا صغيرا أو امرأة أو شيخا كبيرا أو زجاج بيت و هذا فضلا عن أن هؤلاء الأولاد يعرضون أنفسهم للأخطار ، فقد تصدم أحدهم سيارة عابرة في الطريق .. أو نحو ذلك .

ينبغي علي المسلم أن يرفع عن الطريق كل ما يؤذي المارة ..من رفع حجر أو إماطة ضرر ، لقول الرسول – عليه الصلاة والسلام ، "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله .وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" .

١- سورة لقمان : ١٩

٢- سورة البقرة : ١٩٥

ومن آداب الطريق التي يدعو إليها الإسلام أن تساعد كل من يحتاج إلي مساعدة في طريقك مثل ، الأعمى والمريض ، والضعيف ، والإنسان الكبير ، والطفل الصغير .

صون اللسان واليد

ديننا الإسلامي هو دين المحبة ، والتعارف ، والمودة ، والتعاطف ، وهو يدعو المسلمين إلي الإخلاص والوفاء ، وإلي النبل والنقاء ولا يتحقق ذلك إلا بصون اللسان عن الخوض فيما يؤذي الناس ، فينبغي علي المسلم ألا يغتاب أخاه ، لان الغيبة تفتك بأواصر الأخوة ، وتقطع العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات ، وهذا يجئ النهى عنها في قوله – تعالى – :

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

وتميلاً لشناعة الغيبة وقبحها ، فقد شبه الله ممارسة الغيبة بأكل لحم الأخ حال كونه ميتا وذلك حتى ينفرنا منها ، حيث يتجنب المسلم أن يتذكر أخاه بشئ يكرهه في غيبته ولا يعنى هذا السكوت علي ما قد نراه في الآخرين من سيئ الأعمال ، وإنما لابد من المصارحة والمكاشفة ، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا لا يأتي إلا بعد التأكد والتيقين ، ويكون التوجيه باللين والرفق والقول الحسن ، والكلمة الطيبة .

ومن صون اللسان ألا يقوم المسلم بنقل الكلام من شخص لآخر بقصد النميمة ، فمثل هذا العمل حرام ، لأنه يسعى بالفساد بين الناس و ولهذا قال الرسول – صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام .

ومن صون اللسان أيضا أن يتجنب المؤمن شهادة الزور لأن شهادتها تضيع الحقوق وتعين علي التمادى في الظلمٍ بينما يجب على المسلم أن يسرع للإدلاء بشهادة الحق ، لأن بها تثبيت الحقوق ، وأداؤها فرض عند الطلب حتى لا تضيع الحقوق ، يقول الله تعالى –

١- سورة الحجرات : ١٢

﴿ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ﴾[1] وبقوله – جل شأنه – :﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾[2]

ومن صون اللسان أيضا أن يتجنب المسلم الفحش في القول ، ورفع الصوت بما يقبح الحديث فيه .

وصون اليد أمر مطلوب وضرورى من المسلم ، فلا يليق به مثلا أن يتعاطى الرشوة ، لأن ممارستها تضر الآخرين ، حيث تحجب الحقوق عن الناس وفيها يقوم الراشى بتقديم شئ ما – ولو كان على سبيل الهدية – الشخص المرتشى ، وهو – غالبا– يكون صاحب جاه أو منصب أو موظف بيده قضاء مصالح الناس . وحينئذ يقدم له الراشى الرشوة من أجل الحكم له دون غيره أو لإنجاز عمله وتأخير غيره . ولهذا حرمها الله .

كما علي المسلم أن يصون يده من الغش وتطفيف الكيل والميزان والسرقة والنصب ، والاحتكار ، والتلاعب بالأسعار ، والاستغلال ، وغير ذلك مما هو حرام أو فيه شبهة.

وليس الأمر مقصورا علي ذلك فحسب ، بل يمتد صون اليد إلى عدم الاعتداء الآخرين أو إيذائهم فعلى المسلم أن يضبط نفسه ، ويكبح عواطفه وانفعالاته . وقد شجع الله المؤمنين علي كظم غيظهم عند الغضب ، لينالوا محبته ورضوانه قال – تعالى – :

﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[3]

ويؤدى صون المؤمن ليده إلى تماسك المجتمع ، وترابطه ، ووحدته ، كما يؤدي إلى نشر الأمان والأمل فوق أرضه ، وبذلك يسعد المجتمع وينهض ، حيث ينصرف كل واحد من أبنائه إلى العمل المنتج النافع.

١- سورة البقرة : ٢٨٢

٢- سورة البقرة : ٢٨٣

٣- سورة آل عمران : ١٣٤

الاعتماد علي النفس

حث الإسلام المسلم على الاعتماد على النفس فى حياته وشئونه الاجتماعيـــة لأن الاعتماد على النفس هو الطريق المؤدى إلى صون كرامة المسلم وقوة شخصيته ، لهـــذا أمرنا الله – تعالى – بالعمل لأنه وسيلة من وسائل الاعتماد على النفس وجعلـــه غايـــة إنسانية كما جعله واجبا اجتماعيا فى الحياة لأنه يحقق الحكمة من خلق الإنسان ووجـــوده فوق الأرض فالإنسان لا يستطيع أن يخرج على نواميس الكون ويعيش بلا عمـــل إذ أن كل وإن من فى الوجود يعمل وإلا نبذه المجتمع وتحطم كيانه.

وقد عنى الإسلام بمطالبة المسلمين بالاعتماد على النفس وذلك عن طريق العمـــل والسعى فى طلب الرزق ،وكان رسل الله– صلوات الله وسلامه عليهم يعملون ، فقد عمل منهم سيدنا (نوح) بصناعة السفن ، وعمل سيدنا (داود) بصناعة الأسلحة ، كما عمل نبينا محمد – عليه السلام – فى مجال التجارة.. وهكذا كان الأنبياء يقومون بالأعمـــال التـــى يرتزقون منها، حتى لا يكونوا عالة على غيرهم ، وكانت فائدتها تعـــود علـــيهم وعلـــى المجتمع الذى كانوا يعيشون فيه،فقد بلغوا بأعمالهم قمة العبادة التى تقربهم إلى الله٠

وقد جعل الله الأرض بكل ما فيها وما عليها مهيأة لبذل النشاط، ومسخرة لصـــالح الإنسان وسعادته، بشرط أن يبذل جهده ويستغل طاقاته التى منحها الله إياه فى استخدامها والانتفاع بخيراتها يقول الله–سبحانه وتعالى–:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[1]

إن العمل يحقق للإنسان العزة والكرامة، وفى تركه مذلة السؤال للناس، ولقد وجه الرسول– صلى الله عليه وسلم– إلى العمل ،عندما سأله سائل، فقال له الرسول – عليـــه السلام– أما فى بيتك شئ ؟ – قال السائل: بلى، حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضـــه،وقدح نشرب فيه الماء. فقال عليه السلام–:ائتنى بهما ، فأتاه بهما فأخذهما عليه الصلاة والسلام بيده، وقال: من يشترى هذين؟ فقال رجل: أنا أخذهما بدرهم. قال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم– من يزيد على درهم؟(قالها مرتين أو ثلاثـــا)، قـــال رجـــل : أنـــا آخـــذهما

١- سورة إبراهيم : ٣٢ – ٣٣

بدرهمين، وأعطاهما الأنصارى ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما فأنبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما ، فائتنى به ، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب ، وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما. ففعل الرجل ، ثم جاء (أى إلى رسول الله) – صلى الله عليه وسلم _ وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما. فقال له الرسول: هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة.

وهكذا يوجه الرسول _ عليه السلام _ إلى العمل ، مادام الإنسان قادرا عليه ، لأنه بالعمل يستطيع الإنسان أن يعيش عيشة كريمة ، وبالعمل أيضا يقضى على الفقر ، والفقر آفة خطيرة تؤثر على الفرد والمجتمع ، وعلى الخلق والسلوك ، وعلى الفكر والثقافة وعلى الأسرة والأمة جميعا.

والاعتماد على النفس فى الرزق لا يتعارض مع الاعتماد على الله ، فقد روى أن "عمر ابن الخطاب" لقى قوما لا يعملون ، فقال : ما أنتم ؟ قالوا: متوكلون.

فقال : "كذبتم ، إنما المتوكل رجل ألقى حبة فى الأرض ثم توكل على الله ، وقال: "لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة".

وهو الذى نهى الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالا على الصدقات ، حين قال: " يا معشر الفقراء : استبقوا الخيرات ، ولا تكونوا عيالا على المسلمين".

فمن الشواهد التى ذكرت لك تتبين أن الاعتماد على النفس سمة أساسية فى بناء المسلم بها يصون كرامته ، وعليك –أيها الطالب – أن تعتمد على نفسك فى شئون حياتك ، وتخلص فى عملك ، حتى يتحقق نجاحك عالة على زملائك المجدين. وتصبح لك قيمة فى المجتمع.

واعلم أن وطنك الآن ينتظرك ، لتكون عضوا صالحا نافعا لنفسك ولوطنك فلا تخيب رجاءه فيك.

المبحث الثامن
من قضايا المجتمع
التنميـــة

معنى التنمية:

هى العمل على رفع مستوى الفرد ، ليبلغ دخله فى السنة نظير دخل غيره من الدول الأخرى المتقدمة فى العالم.

والتنمية من الأمور التى يدعو إليها الدين ، لأنها تؤدى إلى العـــزة والقـــوة ودينـــك الإسلامى يدعوك إلى ذلك ، فيقول رسول الله _صلى الله عليـــه وســـلم _:" المـــؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .."

كيف تتحقق زيادة التنمية ؟

لزيادة التنمية لابد أن يعمل كل فرد فى الأمة – مادام قادرا على العمل_ بكل جدية وحيوية ونشاط .. نعم لابد أن يعمل بقوة إيمانه ، وصدق وعزيمة فـــى شـــتى مجالات الحياة.. فى الزراعة ، وتعمير الصحراء ، وفى الصناعات الخفيفة والثقيلـــة فى المدن وفى القرى وفى البيوت ، حتى يزيد الإنتاج ، مع الجودة والإتقان.

فالعمل شرف ، والعمل عبادة ، حث عليه الدين ، والتنمية – لاشك – مرتبطة بالعمل ولإتقانه وتجويده..

ولزيادة التنمية لابد من وجود تكتلات اقتصادية بين دولنا العربية والإسلامية بحيـــث يكمل بعضها بعضا ، ثم لابد من وجود سوق مشتركة ، والعمل على زيادة حجم هـــذا السوق ، عن طريق زيادة رقعة الأرض التى يتم فيها تبادل السلع والخدمات.

وها نحن – والحمد لله – قد رأينا بعض التكتلات الاقتصادية العربية ، فـــى الخلـــيج العربي ، وفى المغرب العربي ، مما يبشر بالخير.

ثمرات التكتل الاقتصادى العربى:

إن ذلك يتيح زيادة فى حجم السوق ، كما يتيح التنافس فـــى جــودة الإنتـــاج الزراعى والصناعى بين دول هذه التكتلات ، ثم بينها وبين الدول المتقدمة فـــى هــذا الميدان.

كما يؤدى التكامل الاقتصادى والتكتل بين الدول العربية والإسلامية إلى ارتفاع معدل التنمية فى الدول الأعضاء المشتركة فى هذا التكتـــل ، كمـــا يـــؤدى إلـــى اســـتقرار اقتصادها.

إن تكوين " التكتل الاقتصادى " بين دولنا ، قد يساعد على جذب رؤس الأموال الأجنبية، مما يساعد على الارتفاع بمستوى الاستثمار.

إن هذا التكتل الاقتصادى " يحد كثيرا من انتشار البطالة". ونعود بعـــد ذلـــك إلى ما بدأنا به حديثا، وهو أن طريق التنمية إنما هو العمل الجاد المتقن الـــذى يقـــوم على أساس التخطيط السليم..

ومن أجل ذلك فإن ديننا الإسلامى الحنيف يدعو إلى العمـــل، ويحـــث علـــى إتقانـــه وإحساسه ، حتى تتحقق التنمية ، ويقوى المجتمع ، وترفع رايته ، يقول رب العزة – سبحانه وتعالى

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[1]

العمـــــل فى الإسلام

فضل العمل:

إن العمل عبادة ، ونعني "العمل" الذي يعود علي الفرد والمجتمع بالنفع والخير ، سواء أكان هذا العمل في الزراعة أم في الصناعة أم في التجارة ، أم في أي مجال آخر من مجالات الحياة.

وبالعمل المتقن ، يرتفع مستوى المعيشة للفرد والمجتمع ، ويبتعد شبح البطالـــة ، وشبح الفقر والجوع.

١- سورة الكهف : ٣٠

وبالعمل الجيد يكون شكر الإنسان لربه ، بإعمال الفكر ، والعقل ، والجوارح .. التي أنعم الله بها عليه ، وبهذا الشكر ينمى الله ملكات العامل المؤمن وقدراته ، ويزيده من فضله، ويسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه.

قال الله – تعالى – :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(١)

وبالعمل الصالح يكون الجزاء الحسن من الله – سبحانه وتعالى – فى الدنيا والآخرة ، قال – تعالى – :

﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾(٢)

وقال – سبحانه وتعالى – :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾(٣)

نظرة الإسلام إلى العمل :

لقد خلق الله الإنسان ، وجعله خليفة له في الأرض ، ليعمرها ، ويستثمر ما يمكن استثماره منها ، وذلك عن طريق العمل النافع للفرد والمجتمع .

ومن هنا نري أن الإسلام يحث علي إتقان العمل وإجادته .. كما يقدر العاملين المخلصين المجدين .. فيقول الله –سبحانه وتعالى–

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾(٤)

ويقول – جل وعلا – :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(٥)

ويقول الرسول ﷺ "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"

١- سورة إبراهيم : ٧

٢- سورة الكهف : ٢

٣- سورة الكهف : ١٠٧

٤- سورة التوبة : ١٠٥

٥- سورة الزلزلة : ٧ ، ٨

وإن الأنبياء والرسل –عليهم السلام – كانوا يعملون ويكسبون رزقهم من كدهم وعرق جبينهم ؛ فسيدنا "نوح" –عليه السلام– كان نجارا حاذقا فى صناعة السفن.
وسيدنا "داود" –عليه السلام– كان حدادا يشكل الحديد فى مهارة وإتقان ، ويصنع منه السيوف والدروع ، ويبيعها حتى يكسب رزقه بكد يده وعرق جبينه.
وكان سيدنا محمد ﷺ تاجرا ، اشتغل قبل البعثة فى التجارة مع عمه ، "أبى طالب" ثم عمل فى مال السيدة "خديجة" – رضى الله عنها– فكان مثالا للتاجر المخلص الأمين.
وقد كان معظم الأنبياء يشتغلون برعى الغنم.

حاجة الأمة إلى عمل أبنائها:

إن بلدنا الطيب الأمين فى حاجة إلى بذل الجهد ، والعرق ، والعمل الدءوب ، والبعد عن التخاذل والتكاسل والتقاعس ، وهناك أمام الشباب مجالات عدة للعمل الفردى والجماعى ، الذى يعود على الفرد وعلى المجتمع كله بالخير والنفع والرخاء ورغد العيش.
إن الصحارى أمام الشباب فليعمرها ، وليجعلها جنة خضراء بزراعتها وإقامة المشروعات النافعة فوقها. وأمامه الصناعات الصغيرة والخفيفة ، فليقتحمها فى القرى وفى البيوت ، فتنمو وتزدهر ، وتكبر ، وتؤتى بالخيرات والرزق الوفير.

إن شباب الأمة بعزيمته وقوة إيمانه يستطيع أن يبدع ، وأن يتخطى الصعوبات والعقبات ، ونحن نعلم أن سعة الرزق لن تتحقق بالتواكل ، لكن بالعمل الجاد المخلص ، مع التوكل على الله ، وحينئذ يعين الله المتوكل ، ويساعده فيما يسعى إليه ويعمل.

وبهذا العمل الجاد المخلص يكون الشباب قد أسهموا فى رفع مستوى الفرد فى بلادنا ليبلغ دخله فى السنة نظير غيره من أبناء الدول الأخرى فى العالم المتقدم.

وهكذا نجد أن التنمية التى ننشدها مرتبطة ارتباطا كبيرا بالعمل وإتقانه ، وتجويده.

الادخار وعدم الإسراف

الادخار ظاهرة ضرورية ، ومصدر رئيسى من مصادر البناء والتمويل وهو لا يتم إلا إذا نبع من أعماق كل فرد ، وتفاعل معه ذاتيا بصدق وإخلاص.

وظاهرة الادخار تعلم الفرد الاعتماد على نفسه بنفسه ، وبها يزيد الفرد من إيجابياته ، ويقلل من سلبياته ، ويتعلم الإدراك الصحيح ، والتفكير المنظم ، فيقوى على مواجهة ظروف الحياة وأحوالها.

والادخار ظاهرة اجتماعية قديمة لأنه جزء من الطبيعة ، فكل أمة من الأمم تمر بها سنوات رخاء كما تمر بها سنوات شدة وقحط ، وكذلك الأفراد ، والعاقل من ادخر من وقت رخائه إلى يوم شدته حتى لا يحتاج إلى أحد.

وفى سورة "يوسف" وجه الله –سبحانه وتعالى– إلى نبيه "يوسف" عليه السلام ، فأرشد الناس إلى أن يقتصدوا فى محصول القمح فى سنوات الرخاء ويحتفظوا بما زاد فى سنابله ، حتى إذا حلت سنوات الشدة وجدوا لديهم وفى مخازنهم ما يسد الحاجة ، وتنتهى الأزمة.

والادخار موجود عند الإنسان وفى غيره من الكائنات الحية ، فالجمال ، والنمل ، وأشجار الصبر – رموز ناطقة وشاهدة على ذلك.

- والادخار الفردى مفيد ومثمر ونافع للأفراد والدولة ، وهو ادخار اختيارى.
- أما الادخار القومى فهو ادخار إجبارى ، وأفضاله فى زيادة الخطة وفى زيادة ما تحتاج إليه فوق الوصف.

وقد ظهرت بنوك الادخار فى مصر ، وأدت دورا محمودا. وفى أمثالنا (القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود)

هذا ولم تنهض ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية إلا بالادخار ، وكذلك غيرها من الدول التى بنت نفسها ، وشيدت المصانع الضخمة المنتجة.

وأولى بنا معشر المسلمين أن نبنى أنفسنا بالعمل والإنتاج والادخار.

وقد نهى الإسلام عن الإسراف والتبذير لأنهما يضران بمصلحة الفرد والمجتمع وشمل النهى كل مظاهر الإسراف : فى الطعام ، والشراب ، والوقت.

قال – تعالى – :﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[١]

وقال – تعالى – :

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[٢]

بل حث الإسلام على الاعتدال فى كل أمور الحياة ، فلا إسراف ولا تقتير. قال – تعالى – :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٣]

١- سورة الأعراف : ٣١

٢- سورة الإسراء : ٢٦ ، ٢٧

٣- سورة الفرقان : ٦٧

المبحث التاسع

استتباب الأمن ثمرة الإيمان والعمل الصالح

لقد وعد الله – سبحانه وتعالى – رسوله – عليه الصلاة والسلام – أن يجعل أمته خلفاء فى الأرض ، وأئمة الناس ، وجعل صلاح البلاد بهم ، كما وعد بأنه يبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، وقد حقق الله – سبحانه وتعالى – ذلك كما قال – جل شأنه:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١)

ولقد تحقق هذا الوعد من الله – تعالى – لرسوله – عليه الصلاة والسلام – فلم ينتقل الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – إلى جوار ربه حتى فتح الله عليه مكة وخيبر وسائر جزيرة العرب.

ولقد كان رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – وأصحابه بمكة قد مكثوا عشر سنين يدعون إلى الله وحده ، وإلى عبادته وحده لا شريك له سرا ، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال ، حتى أمرهم الله تعالى بالهجرة إلى المدينة وأمرهم بالقتال ، وكانوا خائفين يمسون فى السلاح ويصبحون فى السلاح ، فصبروا على ذلك ما شاء الله تعالى لهم أن يصبروا ، فقال رجل من الصحابة يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتى علينا يوم نأمن فيه ، ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ: "لن تصبروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليست فيه حديدة" وأنزل الله هذه الآية الكريمة ، فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح.

١- سورة النور : ٥٥

ثم إن الله – سبحانه وتعالى – لما قبض رسوله – عليه الصلاة والسلام – كانوا كذلك آمنين فى عهد أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضوان الله عليهم أجمعين.

ولقد وعد الله رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – المسلمين بنعمة الأمان حين قال لعدى بن حاتم ، حين وفد عليه : (أتعرف الحيرة؟ قال : لم أعرفها ولكن سمعت من بها ، قال : فوالذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بين هرمز ، كسرى بن هرمز قال : نعم وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد) ، قال عدى بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار أحد.

ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة ، لأن رسول الله ﷺ قد قالها.

وهكذا حديث الأمن كما وعد الله تعالى ، وكما وعد رسوله ﷺ وجاء ثمرة مترتبة على الإيمان بالله ، وتوثيق الصلة به ، وعمل الصالحات.

والأمن كما هو نعمة فى الدنيا دعا بها الأنبياء والمرسلون ، كما فى دعوة إبراهيم – عليه السلام ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾[١] وكما فى الآية السابقة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٢]

فهو أيضا من نعم الله – سبحانه وتعالى – فى الآخرة ينعم بها عباده المؤمنون المخلصون كما قال الله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴾ [٣]

كما قال جل شأنه :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [٤]

١- سورة البقرة : ١٢٦

٢- سورة النور : ٥٥

٣- سورة الدخان : ٥١

٤- سورة الأنعام : ٨٢

ولما نزلت هذه الآية الكريمة ، قال رسول الله ﷺ : (قيل لى أنت منهم) . وقال – صلوات الله وسلامه عليه – : (من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر) فقالوا يا رسول الله ما له؟ قال الله – تعالى – ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ (١)

وكما أن الأمن ثمرة الإيمان والعمل الصالح فهو أيضا سمة المؤمن الصادق فى إيمانه ، فإذا صدق إيمان الفرد وإذا صدق أيضا إيمان الجماعة عاشوا حياتهم آمنين لا يخافون ولا يفزعون أحدا ، ولا يروعون الناس، بل إن الناس يلجئون للمؤمنين الصادقين ويأمنونهم على دمائهم وأموالهم.

ولقد وضح رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – سمة من سمات المؤمن وهى أن يأمنه الناس فقال – صلوات الله وسلامه عليه – : **(والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم)** (٢)

وتركيزا على "الأمن" كعلامة مميزة للمجتمع المؤمن وسمة ملازمة للمؤمنين نرى أن رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – ينظر إلى من يرجى منه الخير ولا يخاف أحد منه ويؤمن الشر من جانبه بأن مثل هذا الإنسان هو خير الناس ، فيقول – صلوات الله وسلامه عليه – : **(خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره)**. (٣)

وقد أنكر الإسلام على من يستخدم السلاح فى غير موضعه وبغير وجه حق ، يروى عن الحسن : أن رجلا شهر سيفه على رجل ، فجعل يفرقعه ، فبلغ ذلك أبا موسى الأشعرى فقال : ما زالت الملائكة تلعنه حتى غمده أو أغمده. وحرم الإسلام قتال الإنسان لأخيه الإنسان وترويعه بأى حال من الأحوال ، وتوعد الإسلام المسلمين المتقاتلين بالنار ، لخروجهما على دعوة الإسلام للأمن والأمان ، والاستقرار والاطمئنان.

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه ، فالقاتل والمقتول فى النار ، قيل: يا رسول الله هذا فى القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه).

١- سورة الأنعام : ٨٢

٢- رواه الترمذى

٣- رواه الترمذى

ويوضح رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – أن المؤمن هو الذى يأمنه الناس ولا يخافونه ولا يخونونه بل يأمنونه على دمائهم وأموالهم فيقول –صلوات الله وسلامه عليه – : (والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) [١]

ولقد وضح الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – أن طريق الدعوة الإسلامية طريق وداعة آمنة ، ومهما اعترضها من عقبات فإن الله – تعالى – متمم نوره ، وسوف يؤمن طريقها ، فقال – صلوات الله وسلامه عليه – لخباب بن الأرت : (وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله)[٢]

ويقص علينا القرآن الكريم أروع صور الأمن والأمان التى هيأها الله – سبحانه وتعالى – للمؤمنين والمخلصين فى أعمالهم ، وأنه – سبحانه – قد مكن للناس حرما آمنا فى مكة المكرمة ، ولكن فريقا من المشركين المقيمين هناك ، تذرعوا بأسباب واهية وتعللوا بعلل لا أساس لها من الصحة ، فقد احتجوا لعدم اتباع الهدى بأنهم يخافون على أنفسهم ولا يأمنون من أعدائهم فهم يخشون إن اتبعوا رسول الله ﷺ ، أن يتخطفهم المشركون الذين يجاورونهم ، فرد الله – سبحانه وتعالى – عليهم تلك العلة الواهية ، ووضح لهم أنه جعل لهم حرما آمنا ورزقهم من كل شئ فكيف نسوا أنه حرم آمن لهم فى وقتهم الحاضر؟ وكيف لا يكون آمنا لهم وسلاما لهم بعد أن يدخلوا فى دين الله؟

قال تعالى:

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [٣]

والأمن والرخاء نعمتان من أجل النعم الإلهية يهبهما الله – سبحانه وتعالى – لعباده المؤمنين المخلصين ، وهو سبحانه حين أمر بعبادته ذكر عباده بهاتين النعمتين

١- رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه

٢- رواه البخارى

٣- سورة القصص : ٥٧

فقال للقرشيين: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ (١)

وإذا كان الأمن والرخاء نعمتين كريمتين للمؤمن فإنه يقابلهما نقمتان شـــديدتان يسلطهما الله تعالى على الكافرين والجاحدين وهما : الخوف والجوع. قال تعالى:
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (٢)

دعوة إلى الحفاظ على الأمن الداخلى والأمن الخارجى

لقد حذر الإسلام من إطلاق الإشاعات ، ومن إذاعة أنبـــاء الأمـــن أو أنبـــاء الخوف أو بعبارة أخرى أخبار الحرب أو السلام ، حذر الإسلام من إذاعة تلك الأنباء ومن نشرها بين الناس دون الرجوع إلى ولى الأمر ، وذلـــك لأن أخبـــار الأمـــن أو السلام إذا أذيعت قد تدعو إلى التراخى عن الاستعداد والتأهب والأخذ بأسباب القوة ، ولأن إذاعة أخبار الخوف أو الحرب قد تفت فى عضد البعض من الناس ، ومن أجل هذا نعى الإسلام على من يفعلون ذلك ويطلقون الشائعات :
قال الله – سبحانه وتعالى – :
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣)

وفى عدم ترويج الإشاعات حفظ للأمن الداخلى وصيانة للمجتمع من الـــداخل حتى لا يتسرب إليه الضعف أو الخوف أو الرعب.

١- سورة قريش : ٣ ، ٤
٢- سورة النحل ١١٢
٣- سورة النساء : ٨٣

وإذا كان عدم ترويج الشائعات من أهم وسائل حفظ الأمن الداخلى ، فإن هناك عاملا آخر له أثره فى هذا المجال ، وهو عامل إيجابى بأن يقوم كل إنسان بعملـــه ، فلا يهمل أحد فى واجب يكلف به ولا يفرط فى رسالة يقوم بها ، بل عليه أن يـــؤدى واجبه ، وأن يقوم على أحسن وجه بحيث يكون متقنا له ، ففى قيام كل إنسان بعملـــه وأداء الأفراد والجماعات لمهامهم استقرار وتجاوب مع المجتمع فلا يكون هناك مجال للاختلاف أو ألوان الإثارات المختلفة ، ولقد حث الإسلام على العمل ودعا إلى اتقانه ، وقال – صلوات الله وسلامه عليه – **(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)** وقال : **(ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمـــل يـــده وإن نبـــى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)** [١]

الإسلام والأمن الداخلى:

وقد دعا الإسلام إلى استتباب الأمن الداخلى فى كل صورة من صوره وفى كل مجال من مجالاته ، فإذا نظرنا إلى نظرة الإسلام إلى أمن الإنسان نجده يـــأمر الإنســـان أن يكون معتدلا سائرا فى طريق الأمان ويحذره أن يلقى بنفسه فى التهلكـــة. ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ ﴾ [٢]

ويوضح رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – بأن أمن الإنسان على نفسه نعمة كبيرة إذا تحققت معها عافية البدن وقوت اليوم فقد اكتملت أسباب السعادة وكأنما حيزت الدنيا للإنسان فيقول : " **من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جســـده ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا**" [٣]

وإذا نظرنا إلى دعوة الإسلام فيما يتصل بجانب الأمن الـــداخلى – بالنســـبة للأهـــل والأسرة – نجد وصاياه فى هذا لا حدود لها وحسبنا قول الله – سبحانه وتعالى –:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ۚ ﴾ [٤]

١- رواه المقداد وأخرجه البخارى

٢- سورة البقرة : ١٩٥

٣- رواه الترمذى

٤- سورة التحريم : ٦

وإذا نظرنا إلى الوصايا بأمن الجيران نجدها تبلغ الغاية فى التأكيد لدرجة قصوى حتى أن رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – يقول: "**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**" وقال ﷺ : "**والله لا يؤمن – ثلاثا – قيل – من يا رسول الله؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه**" (١)

الإسلام والأمن الخارجى:

أما فيما يتصل بدعوة الإسلام إلى الأمن الخارجى فإن الناظر إلى تاريخ الدعوة الإسلامية من أول وهلة يرى أنها قامت وانتشرت بالحكمة والموعظة الحسنة.

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٢)

ولم ينتشر الإسلام بالحرب ولا بالسيف ولا بأى أسلوب من أساليب القوة والقهر بل إن مشروعية الجهاد يتلخص حكمها فى الدفاع عن الدين وتأمين الطرق أمام الدعوة الإسلامية وفى الدفاع عن النفس والوطن ، فهو جهاد فى سبيل الله ، لا صلة له بأساليب القهر والسطو والاستعمار ، وإن المستمع لآيات الجهاد فى القرآن الكريم يجد أنها قد خصته بإطار سليم هو أنه فى سبيل الله ، قال الله – تعالى – :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٣)

والإسلام يدعو إلى الأمن والسلام فى قوله تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٤)

وقال – تعالى – :﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥)

١- رواه أبو شريح الخزاعى وأخرجه البخارى
٢- سورة النحل : ١٢٥
٣- سورة التوبة : ١١١
٤- سورة الأنفال : ٦١
٥- سورة البقرة : ١٩٠

ويؤكد رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – على الأمن والسلام وعلى أن من حمل على المسلمين السلاح فليس منهم فقال – صلوات الله وسلامه عليه – : "**من حمل علينا السلاح فليس منا**" [١]

ويوضح أهم سمات الإنسان المؤمن الصادق فى إيمانه وهى سمات الأمان فيقول – صلوات الله وسلامه عليه – : "**إن المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**"[٢]

قال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – : "**إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله – وإن الوحى قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شئ والله يحاسبه فى سريرته ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه ، وإن قال إن سريرته حسنة**"[٣]

وهكذا نرى أن الإسلام يحرص على إقرار الأمن الداخلى وإقرار الأمن الخارجى حتى يعيش الناس فى استقرار وطمأنينة لا يتفزعون ولا يخافون.

وفى ظل الأمن والطمأنينة يؤدى كل فرد واجبه على أحسن ما يكون وتؤدى كل جماعة واجبها كأحسن ما يكون الأداء. وفى الجو الآمن تنطلق الكلمة المعبرة ، والفكر المبدع ، والعمل المتقن المدروس.

وفى جو الأمن يحيا الناس مطمئنين فرحين مستبشرين يؤدون واجباتهم فى هدوء واستقرار ، وفى سعادة وهناء وسلام ...

عناية الإسلام بحقوق الإنسان وصيانة حرماته

لقد كرم الإسلام الإنسان ومنحه من الحقوق ما يكفل له الأمن والاستقرار وما يحفزه إلى القيام بالمسئولية المنوطة به وما يدفعه إلى الاطلاع بمهامه فى الحياة فكرمه الله – سبحانه وتعالى – وسخر له البر والبحر ، ورزقه من الطيبات وحباه من الرفعة والخير بحيث فضله على كثير من خلقه ، كما قال الله – سبحانه وتعالى – :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [٤]

١- رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى

٢- رواه البخارى

٣- رواه البخارى

٤- سورة الإسراء : ٧٠

وكان الإنسان جديرا بهذه الأفضلية ، جديرا بهذا التكريم لما سيعهد إليه من مسئولية وما سيلقى على عاتقه من أمانة غالية ناءت بحملها السموات والأرض والجبال وأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، كما قال الله – سبحانه وتعالى – :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (١)

الإنسان خليفة الله فى الأرض:

إن خلافة الإنسان على الأرض وقيامه بمسئوليته فيما نشر للحق وإحقاق له ، ودعوة إلى قيام السموات والأرض ، وإن خلافته هذه قد مهد الله – تعالى – لها منذ أول وهلة ، وهيأ فيها آدم – عليه السلام – لمهمة الخلافة فعلمه الأسماء كلها ، وكانت الحكمة الإلهية قد اقتضت ذلك حتى تنتشر ذرية آدم ، وفيهم العاصى والمطيع فيظهر العدل بينهم ، عن هذه القضية الأولى فى حياة الإنسان وخلقه وخلافته ، يقول الله – سبحانه وتعالى – :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٢)

١- سورة الأحزاب : ٧٢

٢- سورة البقرة ٣٠ – ٣٣

صيانة الإسلام للحقوق

ولقد صان الإسلام حقوق هذا الإنسان وحفظ حرماته وحذر من الاعتداء عليها فصان حرمة النفس وحرم سفك الدماء وصان حرمة المال فحرم الاعتداء عليه أو أكله بالباطل وصان حرمة العرض ، وفى حجة الوداع خطب الرسول ﷺ فى الناس وقال : **(أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ... ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)**

أما حق الحياة فقد صانه الإسلام حين صان حرمة النفس الإنسانية وهدد الذين يعتدون على حياة الآخرين ظلما وعدوانا.

قال – تعالى – :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (١)

ونهى عن الاعتداء على حق الحياة ، وقتل النفس إلا بالحق فقال – جل شأنه – :

﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٢)

ويقول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – : (لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق) (٣)

متى يحل قتل المسلم؟

لقد تناولت السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بيان ذلك الحق الذى تقتل به النفس وفيما عداه يكون الاعتداء عليها جرما شنيعا وعدوانا صارخا ، فعن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرئ

١- سورة النساء : ٩٣

٢- سورة الإسراء : ٣٣

٣- رواه ابن ماجه

مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) [1]

ويعتبر الإسلام أن الاعتداء على النفس الإنسانية الواحدة هو اعتداء على الإنسانية بأسرها ، يقول الله – تعالى – :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[2]

وأما عن حق المال فقد عنى الإسلام بتيسير طرق تحصيله وتمهيد الأرض وتذليل السبل ، فعن طريق الزراعة وجه الإسلام أتباعه إلى استنبات الأرض واستثمارها ونعمه موجودة منتشرة حيث أعدها ومهدها لذلك . قال – سبحانه – :

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾[3]

كما أشار إلى تحصيله عن طريق الصناعة

﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾[4]

وأمر الإسلام بتحصيل المال أيضا عن طريق التجارة ، قال – تعالى – :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[5]

والعناية بالأموال فى جميع الأديان شريعة قديمة لم تختص بها أمة دون أخرى وقد أنزل الله – سبحانه وتعالى – جزاءه وعقوبته ببعض الأمم وبعض الناس الذين

1- رواه البخارى ومسلم
٢- سورة المائدة : ٣٢
٣- سورة عبس : ٢٤ – ٣٢
٤- سورة الحديد : ٢٥
٥- سورة النساء : ٢٩

كانوا يأكلون الأموال بالباطل وأشاعوا الظلم بين العباد وأكلوا الربا فعاقبهم الله – سبحانه وتعالى – :

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [١]

وتمثل الزراعة والصناعة والتجارة عمد الحياة الاقتصادية التى لا يمكن أن يعيش بدونها مجتمع ما من المجتمعات ، فكما يحتاج المجتمع إلى الزراعة لتوفير المواد الغذائية فإنه يحتاج إلى الصناعة لإعداد ملبسه ومسكنه ، ويحتاج إلى تبادل كل هذه المجتمعات والأمم الأخرى التى لا تقوم فيها الزراعة أو الصناعة وذلك عن طريق التجارة.

والإسلام حين يؤكد الوصية بصيانة حق المال فإنه يعمل على توثيق الحقوق بين العباد وذلك بالوفاء بالعقود. قال – تعالى –:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [٢]

ويأمر بالكتابة حيال الدين. يقول – تعالى – :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ [٣]

ويأمر فى الإشهاد فى البيع محافظة على الحقوق ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾[٤]

وحرم التعامل بالظلم كالربا وهدد المتعاملين به بالحرب فى قوله – تعالى – :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[٥]

١- سورة النساء : ١٦٠-١٦١
٢- سورة المائدة : ١
٣- سورة البقرة : ٢٨٢
٤- سورة البقرة : ٢٨٢
٥- سورة البقرة : ٢٧٨ – ٢٧٩

وإلى جانب صيانته للأموال فإنه وجه الإنسان إلى إنفاقها في وجوهها المشروعة وأداء الحقوق الواجبة فيها ، فينفق منها على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل.

قال الله – تعالى – :

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

وأما عن العرض فقد صان الإسلام حرمة الأعراض وحفظ كرامة الناس وحذر من الغيبة والنميمة ، والوقوع فى حق المسلم أو شرفه وكرامته ، وحرم السخرية بالناس اللمز والتنابز بالألقاب ، وسوء الظن بهم ، كما حذر من التجسس.

قال – تعالى – :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٢)

ويقول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) ويقول الرسول ﷺ محذرا من الظن : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث .. ولا تحسسوا ولا تجسسوا)

ويحرم الرسول ﷺ تتبع عورات الناس ، يقول – صلوات الله وسلامه عليه – : "إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم" (٣)

وهكذا نرى عناية الإسلام بحقوق الإنسان وصيانة حرماته والمحافظة عليها ، وقد تربى وتعلم على هذه التعاليم الإلهية القويمة الرعيل الأول من هذه الأمة فصانوا الحرمات وحافظوا على الحقوق وأدوا الأمانات فعاشوا حياة سعيدة رشيدة تفيض عدلا ورحمة وأمنا.

١- سورة الروم : ٣٨
٢- سورة الحجرات : ١١
٣- رواه أبو داود

لقد ترعرعت ضمائرهم على الأمانة وعاشوا حياة منعمة بالحب والخير ، كانوا أمناء بمعنى الكلمة يراقبون ربهم فى السر والعلانية لا يخافون فى الحق لومة لائم ولا تغريهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها وبهجتها.

هذا هو عبد الله بن دينار يقول خرجنا مع عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – إلى مكة فعرسنا فى بعض الطريق (أى نزلنا للاستراحة) فانحدر بنا راع من الجبل فقال لى: يا راعى يعنى شاة من هذه الغنم فقال : إننى مملوك ، فقال : (قل لسيدك أكلها الذئب) يريد بها أن يختبر أمانته وتقواه ، فقال الراعى: فأين الله؟ فبكى عمر – رضى الله عنه – ثم غدا مع المملوك ، فاشتراه من مولاه وأعتقه ، وقال: أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك فى الآخرة. هكذا عاش الرعيل الأول من هذه الأمة بأمانة كاملة لا نظير لها.

وما أحوج المسلمين اليوم فى شتى أنحاء الدنيا أن يأخذوا بتعاليم الإسلام وأن يطبقوا مبادئه القويمة وأن يعتصموا بحبل الله جميعا حتى تستقر الحقوق وينتشر الأمن وتصان الحرمات ويفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض ويتم نصر الله لهم ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

حرمة النفس وحقها فى الحياة

حق الحياة بالنسبة للإنسان أغلى ما يكون ، إذ إن الحياة منحة إلهية أعطيت للإنسان ليقوم برسالته على ظهر الأرض وليؤدى رسالته فى الحياة إيمانا وعملا ، وعبادة الله الخالق الرازق ، المحيى المميت ، الذى بيده مقاليد السموات والأرض وهو على كل شئ قدير.

وقد حدد الإسلام مهمة الإنسان فى الحياة ورسالته فيها ، باستخلافه فى الأرض ، وقيامه بتوحيد خالقه ورازقه وعبادته وحده لا شريك له وشكرا لله على آلائه ونعمائه وهو – سبحانه – الغنى الحميد.

قال – تعالى – :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (١)

١- سورة الذاريات : ٥٦ – ٥٨

إذاً فلم يخلق الله عباده عبثا – حاشا لله – وليست حياة النــاس مــن الســهولة بمكان بحيث يتخلصون منها أو يعتدون على نفوس غيرهم ، فإن الحياة والموت بيــد الله المحيى المميت.

فى خطبة الوداع:

أكد الإسلام حرمة النفس وحقها فى الحياة ووضح رسول الله – صــلوات الله وسلامه عليه – هذه الحقيقة فى خطبة الوداع إذ يقول : **(أيهــا النــاس إن دمــاءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هــذا ... ألا هــل بلغت اللهم فاشهد ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)**

من أجل هذا نجد أن الإسلام قد حرم كل ألوان الاعتداء على حق الحياة بأيــة صورة وعلى أى وضع كان هذا الاعتداء والظلم.

تحريم قتل الأولاد :

وحرم قتل الأولاد الصغار ، وحرم وأد البنات كما كان فى الجاهلية ، وأنكــر عليهم تلك الوحشية الظالمة ، قال – تعالى – :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1]

قال – سبحانه – : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [2]

وقال – تعالى – :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [3]

---

١ سورة النحل : ٥٨ – ٥٩

٢- سورة التكوير : ٨ ، ٩

٣- سورة الإسراء : ٣١

تحريم قتل النفس:

كما حرم اعتداء الإنسان على نفسه كظاهرة الانتحار . قال – تعالى – :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [١]

ولمرتكب هذا الجرم عقابه فى الآخرة من نوع ذنبه وجريمته فى الدنيا فإن قتل نفسه بسم أو حديدة أو تردى من جبل فهو على ذلك فى النار.

قال رسول الله ﷺ **(من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالد مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا فيا أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا)** [٢]

تحريم قتل الغير:

كما حرم الإسلام قتل الغير بغير حق وتوعد عليه ، فالقتل من أكبر الكبائر وأخطر الجرائم وأشدها على الأفراد والجماعات ، إنها جريمة إذا ظهرت فى مجتمع أو تفشت فى بيئة نشرت الرعب والفزع وقضت على الأمن والاستقرار وأشاعت الإحن[٣] والبغضاء ، وقضت على الروابط الإنسانية ورملت النساء ويتمت الأطفال ، لهذا أنزل الله تعالى فى شأن القاتل وعيدا شديدا ، قال – سبحانه – :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [٤]

وهذا الحق فسرته السنة الشريفة ، قال – صلوات الله وسلامه عليه – :

(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) [٥]

١- سورة النساء : ٢٩

٢- رواه البخارى ومسلم

٣- الإحن : الأحقاد

٤- سورة النساء : ٩٣

٥- رواه البخارى ومسلم

القصاص فى الشريعة:

ولما كان فى القتل عدوان على النفس بغير حق للنوع الإنسانى وإفساد للمجتمع وقضاء على عضو من أعضائه وإهدار لحق الحياة وهو أغلى شئ شرع عليه القصاص زجرا للناس وجزاء على الاعتداء على النفس ، فهو من أعظم الجنايات بعد الشرك بالله ، لهذا كان القصاص ليكف الجانى وتسلم الحياة من العدوان وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١)

وحين تحدث القرآن عن أول جريمة قتل على ظهر الأرض فى قوله – تعالى – :

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٢)

حين تحدث القرآن بهذا النبأ كشف عن طبيعة العدوان الكامنة فى النفوس الشريرة والعدوان الصارخ منها وكشف عن الجريمة المنكرة التى تثير الضمير الإنسانى والشعور الجارف الحار ، والحاجة الملحة إلى قصاص عادل "يصون حق النفس" ، فمن أجل هذه النماذج الشريرة والعدوان الصارخ على الأبرياء ، كان قتل النفس الواحدة حين لا يكون قصاص ولا دفاع عنها ، يمثل قتل جميع الناس لأنها واحدة من نفوس البشر جميعا ، تشترك هى وغيرها فى حق الحياة ، وإن إبقاءها حية والدفاع عن حقها فى الحياة أو بالقصاص ، إذا اعتدى عليها يمثل إحياء النفوس جميعا ، ففى صيانة حياتها صيانة لحق الحياة الذى يشترك فيه الناس جميعا ، قال – تعالى – تعقيبا على نبأ ابنى آدم:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٣)

١- سورة البقرة : ١٩٧

٢- سورة المائدة : ٢٧

٣- سورة المائدة : ٣٢

القصاص حياة:

وقد بين الله – تعالى – أن القصاص حياة ، وهذا هو وجه الحكمة فيه. قال – سبحانه– ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ وذلك من وجهين:

الأول: أن فيه الحياة بطريقة الزجر ، فإن الإنسان الذى يقصد قتل إنسان آخر إذا فكر فى عاقبة أمره ، وما يلحقه من جريمته ، وأنه إذا قتله قتل به انزجر عن قتله فكان حياة لهما ، لذا فإن الإنسان الذى تحدثه نفسه بهذه الجريمة ، حين يعلم أن حياته ثمن لجريمته أو أنه إذا قطع أو أتلف عضوا لحق به مثل ذلك ، فلا شك أنه يفكر مرات قبل الإقدام على مثل هذه الجريمة مما يجعله يكف عما يريده ، فتكون فيه حياة لمن يريد الاعتداء عليه وحياة له ، وليس الأمر كذلك حين يعلم أن جزاءه السجن مثلا ، إذ إن إلحاقه عقوبة فى البدن – مثلا – قطعا أو تشويها فى الخلقة شئ غير آلام السجن.

الثانى: أن فى القصاص دفعا لسبب الإهلاك ، فإن القاتل – بغير حق – يصير حربا لا هوادة فيها على أولياء القتيل لإحساسه بأنهم يلاحقونه لما ارتكبه فهو يخشى على نفسه منهم ، فيقصد حربهم ويتمنى إفناءهم ليزيل شبح الخوف الذى يلاحقه ويتابعه ، والشرع قد مكنهم من قتله قصاصا لدفع شره عن أنفسهم.

وفى القصاص إطفاء لتوارث القلوب المشتعلة بالسخط والكراهية ، وقضاء على حزازات النفوس التى يقودها الغضب والحمية إلى ظاهرة الثأر ذات العواقب الوخيمة ، ظاهرة الثأر التى تحرك أهل القتيل لتلمس كل ذريعة لإرواء أحقادهم ، وتحين الفرصة لإهدار الدماء التى لا تقتصر على القاتل وحده أحيانا ، بل تسيل الدناء على مذابح الأضغان[١] العائلية ، وبين الحين والحين يهدر دم من هنا ودم من هناك.

لهذا كله شرع القصاص فكان فيه حياة بكل ما تتسع له معنى الحياة ، حياة لمن تحدثه نفسه بالفشل ، فكيف عنه حين يعلم مصيره وفيه حياة لمن كان سيقع عليه القتل؟! وفيه حياة للعائلات والأفراد والجماعات يسد باب الثأر والعدوان.. ففى القصاص شفاء لنفوس أهل القتيل من الحقد والرغبة فى الثأر.

١– الأضغان: الأحقاد ومفردها ضغن : حقد

محافظة الإسلام على حرمة الأعراض

الإسلام دين الطهر والعفاف، صان الأعراض كما صان الأنفس والأموال ودعا إلى حمايتها والدفاع عنها .. وأكد الإسلام حرمات المسلمين ، وفى الحديث:"كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"

وحماية للأعراض ، وصيانة لها كفل الإسلام لها حقوقا شرعية تتسق وفق ما أحله الله من العلاقات نقية طاهرة تتميز بالثبوت والاستقرار وتحكم بحقوق وواجبات تشرق فى المودة والرحمة وتنبثق من خلالها المشاعر الإنسانية الوفية والمعاملات النظيفة الراقية ونفى الإسلام عن المجتمع الإسلامى كل رذيلة من الرذائل وميز عبادة ووصفهم بصفات تتفق مع عقيدتهم الصحيحة وإيمانهم الصادق. وبين أنهم موحدون لا يدعون مع الله إلها آخر ومحافظون على حرمة الأنفس فلا يقتلون ومحافظون على الأعراض فلا يزنون إلى غير ذلك من الصفات. قال الله – تعالى – :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١]

وحرم الإسلام الاقتراب من الزنا لأنه من الكبائر والفواحش قال الله – تعالى– :

﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٢]

الاعتداء على الأعراض:

إن جريمة الاعتداء من أخطر الجرائم وأكبر الكبائر إذا تفشت فى بيئة نشرت التحلل والإباحية وولدت أخطر الأمراض بين مرتكبيها، وأدت إلى غيرها من الجرائم، كما أن فيها إهدار لماء الحياه ولمادتها فى غير موضعها المشروع وطريقها الحلال.

كما ينشأ عن هذه الجريمة تشرد وضياع لمن جاء من الأنباء عن طريقها واختلاط للأنساب وفقدان للحياة العزيزة الطيبة النظيفة المحترمة.

١- سورة الفرقان : ٦٨ – ٧٠

٢- سورة الإسراء : ٣٢

وهذه الجريمة المنكرة تعتبر من أشد الآفات الاجتماعية خطورة فيما يتصل بالناحية الأخلاقية والناحية الاجتماعية، ففيها محاربة للحياة الزوجية السليمة ومحاربة للعفة والفضيلة وعزوف عن الزواج وهى ظاهرة تحليلية وفعلة شنعاء لا تظهر إلا فى البيئة البعيدة عن روح الإسلام والتى لا تخشى الله وعذابه ، وهى أكثر ما تكون مصاحبة لظاهرة العزوف عن الزواج وذلك لأن البعض حين يرى قضاء شهوته بهذه الوسيلة يستهين بشأن الزواج ويرى فيه من الأعباء والمسؤليات ما يمكن أن ينأى بنفسه عنها ويريح حياته منها.

وبتلك النظرة الهابطة الرخيصة تصغر الأسر وتقل وتضعف وتتفكك ويضعف أبناؤها جسميا وعقليا وخلقيا.

ولما كان الزنا والاعتداء على الأعراض له خطورة وله نتائجه السيئة التى تؤدى بالأفراد ، وتهدم كيان البيوت وتقوض دعائم الحياة ، شرع الإسلام عقوبته القاسية لتكون أكبر رادع ومانع من الوقوع فى هذه الجريمة فالزنى المحصن: يقتل رجما بالحجارة ، والبكر يجلد مائة جلدة.. وتنزل به العقوبة الرادعة على مرأى ومسمع من الناس ليكون فى ذلك أشد الوسائل الرادعة وليكون عبرة لغيره ممن تسول له نفسه ارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة.

وينهى الله – تعالى – عن أن تكون هناك رأفة أو عطف على الجانى حيث تنزل به العقوبة حتى لا تتعطل الحدود أو يخفف الحد ، قال الله تعالى:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[١]

ومن الجرائم التى ترتكب اعتداء على الأعراض (القذف) فمن قذف رجلا محصنا أو امرأة محصنة واتهم أحدهما بارتكاب جريمة الزنا ولم يقم البينة والدليل

١- سورة النور : ٢

المطلوب شرعا فإنه يجلد ثمانين جلدة وتسقط شهادته ، وهما عقوبتان اثنتان لا عقوبة واحدة ، فالأولى : وهى الجلد عقوبة مادية توقع على جسده ، والثانية وهى إسقاط شهادته عقوبة معنوية أدبية توقع على كرامته وتظل دائمة .قال الله – تعالى- :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(١)

وللقاذف من الوعيد الشديد ما يستحقه مما قرره الإسلام فى الكتاب والسنة. فالذين يقذفون المحصنات الغافلات يرتكبون أكبر الكبائر وتحل عليهم لعنة الله فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يقول الله – تعالى –:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾(٢)

وقال – تعالى – :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣)

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات من السبع الموبقات التى نهى الله عنها وحذر منها الرسول صلوات الله عليه وسلامه وأمر المسلمين باجتنابها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال:

(اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن؟ قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) (٤)

١- سورة النور : ٤

٢- سورة النور : ٢٣ – ٢٥

٣- سورة النور : ١٩

٤- رواه البخارى

المحصنات: اسم مفعول ، أى التى أحصنهن الله وحفظهن عن الزنا ، والمراد بهن العفيفات وأما (الغافلات) فالمراد بهن الغافلات عن الفواحش وما قذفن به.
وفيما رواه ابن أبى حاتم عن عائشة – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ قال لأصحابه (أتدرون أربى الربا عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم) ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(١)

ومن الذنوب التى تمثل اعتداء صارخا على حرمات الناس وأعراضهم السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وسوء الظن والتجسس والغيبة والنميمة وقد نهى الله تعالى عن الأمور كلها وحذر منها ونادى المؤمنين أن يحذروها ، ناداهم بوصف الإيمان الذى يتنافى مع تلك الآفات ولا يستقيم مع تلك فقال – سبحانه –:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)

فلا يجوز لإنسان أن يسخر من إنسان ولا يحل له أن يستهزىء بأخيه أو يسخر منه لآفة فى بدنه أو نحافة فى بعض أعضائه أو قلة ماله أو غير ذلك من الأمور وقد روى أن عبد الله بن مسعود انكشفت ساقه و كانت دقيقة هزيلة. فضحك

١- سورة الأحزاب : ٥٨
٢- سورة الحجرات : ١١ ، ١٢

منها الحاضرون فقال النبى ﷺ : **(أتضحكون من دقة ساقيه ، والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من جبل أحد)**[١]

وتأكيدا لحرمة الأعراض ، والحفاظ على كرامة الإنسان وعدم الاعتداء عليه بالتجسس أو التطلع إلى أسراره أو بيته جاء فى الحديث المتفق عليه: " من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه "وقال صلوات الله وسلامه عليه " يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله) [٢].

عناية الإسلام بحرمة الأموال

عنى الإسلام بالمحافظة على حرمة الأموال ، كما عنى بالمحافظة على حرمة النفس الإنسانية وعلى حرمة الأعراض ، تلك المحرمات الثلاث التى هى أغلى ما يحرص عليه كل إنسان فى حياته ، ومن أجلها يضحى بحياته نفسها. وقد حفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم – صلوات الله وسلامه عليه – بالعناية بها ليأمن الناس فى مجتمعاتهم ، وتسكن حياتهم ، فلا تدنسهم فاحشة ، ولا يلاحقهم خوف ، ولا يفزعهم عدوان. وفيما رواه الشيخان من خطبة الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – يوم النحر قال : "**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ... ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه**"

وأريد هنا أن أبرز جانب عناية الإسلام بحرمة الأموال ، وأن الله – تعالى – قد حرم أكل الأموال بالباطل فقال – سبحانه – :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[٣]

١- رواه مسلم

٢- رواه الترمذى

٣- سورة النساء : ٢٩

وفى هذا تذكير لهم برحمة الله بهم وإذا لم يجد التذكير فهناك التحذير :

﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنًا وَظُلۡمًا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾(١)

ويوضح القرآن الكريم مدى رحمة الله الواسعة إذا اجتنبت الكبائر ولم يعتد على حرمات العرض والمال والنفس ، فقال :

﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلاً كَرِيمًا ﴾(٢)

وإذا نظرنا إلى تعاليم الإسلام فيما يتصل بجانب المحافظة على حرمة الأموال وجدنا أن الإنسان مسئول عما بيده من مال من جهة امتلاكه والحصول عليه ، وجهة صرفه وإنفاقه ، من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه. ولا يقبل الله أى تصرف للمال إن لم يكن طيبا وحلالا حتى ولو أنفقه فى وجوه الخير ، وفى الحديث : "**من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك جميعا ، ثم قذف به فى نار جهنم**"

أثر المال الحرام:

كثير من الناس يظن أن ما اكتسبه من حرام إذا أدى زكاته أو إذا قام بإنفاقه فى وجوه الخير لا يكون عليه إثم ، وهذا خطأ فاحش وزعم باطل لا أساس له .. وكما أن المال الحرام لا ينفع صاحبه ولو أنفقه فى الخير ، بل يكون زاده إلى النار ، فكذلك يمنع الكسب الخبيث والمال الحرام من قبول دعاء صاحبه. قال سعد بن أبى وقاص : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال النبى ﷺ : " يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده ، إن العبد يقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به"

١- سورة النساء : ٣٠

٢ سورة النساء : ٣١

وقد دعا الإسلام إلى العمل والكسب الطيب الذى يكتسب به العبد العزة والكرامة ، والذى يدفع عن نفسه ذل المسألة ومد اليد ، كما رسم منهج الإنفاق فى قول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – : "**اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله**" (١)

وكما دعا الإسلام إلى الكسب والإنفاق فى الوجوه المشروعة ، فقد نهى عن إضاعة المال ، وصرفه فى غير منفعة أو فيما حرم الله ، فالرجل الصالح يكسب المال الصالح لينفقه فى العمل الصالح ، وفى الحديث **(نعم المال الصالح للرجل الصالح)** وإضاعة المال مما يكرهه الله لعباده من الخصال السيئة ، وفيما رواه مسلم يقول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – :

(إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تتفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)

وليست السعادة الحقيقية فى جمع المال وصرفه على حسب الهوى والرغبات النفسية والمتعة المادية والجسدية ، ولكن المال الذى يغبط عليه صاحبه هو الذى يصرف فى الوجوه المشروعة ، وفى جانب الحق يقول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – : **(لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها)** (٢)

ولم تقتصر تعاليم الإسلام فى العناية بحرمة الأموال عند تحديد طرق كسبها ووسائل إنفاقها وعدم إضاعتها فى الباطل .. لم تقتصر على ذلك فحسب ، بل إن الشريعة الإسلامية قد أحاطتها بعناية كثيرة ، وفرضت عقوبات رادعة على كل من يعتدى على حرمة الأموال فقررت قطع يد السارق ، فقال الله – تعالى – :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣)

١- رواه البخارى

٢- رواه البخارى

٣- سورة المائدة : ٣٨

وشدد الإسلام فى تنفيذ حد السرقة حتى لا يتلاعب الناس ويسطو بعضهم على بعض ، ويأخذ أحدهم حق الآخر. فعن عائشة – رضى الله عنها – " أن قريشا أهمتهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ، فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ : أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال : أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف قتلوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ..." (١)

ويشدد الإسلام فى الوعيد لمن يغصب حق امرئ مسلم أو يقتطعه فيقول – صلوات الله وسلامه عليه – : (من غصب شبرا من أرض طوقه الله – تعالى – من سبع أرضين يوم القيامة) ويقول – صلوات الله وسلامه عليه – : **(من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله – عز وجل – وهو عليه غضبان)**(٢)

وفى حال الاعتداء على المال أجاز الإسلام للمالك أن يدفع عن ماله كل معتد حماية لحرمة المال ، وحفاظا على الملكية الفردية مهما كلفه ذلك. وفى الحديث : **(من قتل دون ماله فهو شهيد)** (٣)

وقد أعلن رب العزة – سبحانه وتعالى – خصومته ووعيده لمن يأكل حق إنسان أو عامل أو أجير ولا يعطيه أجره كاملا ، قال ﷺ :

قال الله عز وجل : "ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى باسمى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره"(٤)

وحماية للملكية وحفاظا على حرمة المال ، حرم الإسلام الغش فى الكيل والميزان فقال – تعالى – :﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾(٥)

وحرم الإسلام الربا والقرض بفائدة حتى لا يظلم الناس بعضهم بعضا. قال – سبحانه – :

١- رواه مسلم
٢- رواه أحمد
٣- رواه البخارى
٤- رواه البخارى
٥- سورة المطففين : ١ – ٣

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[1]

وتوعد الله – سبحانه – أولئك الذين يكنزون المال ولا ينفقونه فى سبيل الله ، توعدهم بعذاب أليم فقال – سبحانه – :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[2]

وهذا الوعيد لهؤلاء لأنهم أكلوا حق الفقراء والمحتاجين ، وكنزوا المال واحتكروه ، فهم بالتالى لم يحفظوا له حرمة ، ولم يصونوا للمحتاجين حقا ، هذا وأن الاعتداء على حرمة الأموال بأية صورة من الصور أو أية حيلة من الحيل ظلم كبير ، وإثم لا يتحلل منه ولا تقبل من صاحبه توبة إلا برد الحق إلى صاحبه ، ومهما يكن صالحا أو تضحيته عظيمة ، فإن كل أعماله فى ضياع.

صيانة الحقوق فى الإسلام

لا يوجد فى أنظمة البشر ولا قوانين الأحياء على ظهر الأرض من مفكرين وباحثين كفل لها الحقوق ، وصان أموال الناس ودماءهم وأعراضهم كما صانها الإسلام وحافظ عليها.

وكم تعددت نظم اقتصادية ، وتنوعت مبادئ وأشكال ، وظهرت مذاهب وأفكار وتدارسها الناس ، وبحثها الباحثون وناقشها المفكرون ، وما من مذهب من تلك المذاهب إلا والاعتراضات عليه واردة إن لم يكن متعثرا أو مرفوضا. وما من نظرية من تلك النظريات فى القديم إلا وظهر فى الحياة الحديثة قصورها ، وما من نظرية من النظريات الحديثة ، إلا وظهرت أخرى تناقضها .. وهكذا.

١- سورة البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩

٢- سورة التوبة : ٣٤ ، ٣٥

ومن هنا كان السائرون على تلك المذاهب الحديثة ، أو الآخذون بهذه النظريات متأرجحة مذاهبهم ، ومهزوزة حياتهم الاقتصادية ، ومعاملاتهم المعاشية.

نظام الإسلام الاقتصادى:

ما من جماعة أو أمة أخذت بنظام الإسلام الاقتصادى إلا وكانت ثابتة الخطى مطمئنة الحياة ، تمضى بمبادئها المطمئنة لا تناقض ولا اختلاف ولا تعترى حياتهم هزة اقتصادية من تلك الهزات التى قد تطيح بالنظرية برمتها.

والسبب فى ذلك واضح كل الوضوح ، إذ إن الاقتصاد فى ظل الإسلام قائم على أسس أصيلة ، ومحكوم بقوانين إلهية لا يعتورها[١] شك ولا خطأ ، ولا تناقض ولا تضارب.

توجيه الإسلام للاقتصاد:

إنه يقوم على تحصيل المال من الطريق الحلال ، من البيع والشركة والوكالة والمضاربة والمساقاة والزراعة والإجارة ، وإحياء الموات والهبة والعطية ، والهدية والوصية ... إلى آخره.

كما وجه الإسلام أتباعه إلى العمل والسعى والكسب ، وأمر باستصلاح الأراضى ، واستخراج ما فيها من كنوز ، وخيرات ، وأمر بالسير والنظر فى الأرض.

فقد سخر الله لعباده الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وهيأ الله لكل كائن حى رزقه ، من طعام وشراب ومن غذاء وكساء.

ومن أسرار القدرة الإلهية الفائقة ما أودعه الخالق المقتدر – سبحانه وتعالى – داخل الأرض ، وفى أعماق التربة من غذاء للنبات .. يستمد غذاءه ونماءه منها ، وما بعثه فى الجو من شمس وهواء وما يرسله من ماء ، ولكل ذلك أقره البالغ فى إمداد النبات بالغذاء والنماء.

ثم هيأ الله – سبحانه وتعالى – فى النبات من غذاء الإنسان والحيوان.

ولقد وجه الله – تعالى – الإنسانية إلى ما وهبها من نعم ، وأمر الإنسان بالنظر إلى أصل طعامه ، وكيف مر بمراحل عديدة؟!

١- يعتورها : يغشاها

قال – تعـالى – :﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[١]

وهذا الكون الفسيح بما فيه من سماوات وأرض ، ومن ثمرات ونبات وبحار وأنهار وشمس وقمر ، كل ذلك نعم وافرة أسبغها[٢] ، كما أسبغ غيرها على الإنسان ظاهرة وباطنة. قال الله – تعالى – :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٣]

الإسلام وحماية الاقتصاد:

وفى سبيل حماية الاقتصاد والحفاظ على الحقوق المالية للناس قـرر الإسـلام عقوبة قطع اليد بالنسبة للسارق:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٤]

كما هدد الإسلام وتوعد الغاصبين لحقوق الغير ، يقول رسول الله ﷺ : (من غصب شبرا من أرض طوقه الله – تعالى – من سبع أرضين يوم القيامة)

وحماية للحقوق المالية للإنسان ، وصونا للاقتصاد فى كل صوره وفى شتى وسائله ، دعا الإسلام إلى العمل ووضح أن خير ما يأكله الإنسان هو ما كان من كسب يده.

١- سورة عبس : ٢٤ – ٣٢

٢- أسبغها : أتمها

٣- سورة إبراهيم : ٣٢ – ٣٤

٤- سورة المائدة : ٣٨

قال رسول الله ﷺ : (مأكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده) وقال ﷺ: للعامل الذى ورمت يده من آثار عمله وكده ، "تلك اليد بحبها الله ورسوله"

أما عن حق العامل وأجره ، فإن نظرة الإسلام إليه نظرة قوية ومؤكدة ، فقد دعا إلى الوفاء بحق كل عامل وأنذر الله أصحاب العمل الذين يجورون على العاملين أو يظلمونهم أنذرهم الله – تعالى– بخصومته لهم وبحريه.

ففيما رواه الإمام البخارى ، يقول رسول الله ﷺ :**(قال الله عز وجل : ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى باسمى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره)**[١]

ولم يكتف الإسلام فى هذا الصدد بحفظ حق العامل ، وعدم الجور أو التعسف لحقه ، وإنما دعا إلى سرعة إعطائه حقه ، ففى الحديث : (أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه)

فللجهود الإنسانية فى ميزان العدل الإلهى منزلتها وكرامتها وحقها الأكيد الذى لا يصح العدوان عليه ، أو إهماله بحال من الأحوال أيا كان نوع تلك الجهود يدوية كانت أو ذهنية أو غير ذلك.

هذا ، والمتصفح لآيات الكتاب العزيز ، ولأحاديث الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – وإلى كتب الفقه الإسلامى ، سيرى إلى أى مدى صان الإسلام الحقوق ، وأحاطها بسياج منيع من الأمانة ، والحل ، وحذر من الخيانة والظلم ، والعدوان ، لقد صانها بالنسبة للأفراد ، كما صانها بالنسبة للجماعات ، وفصل المعاملات المالية وغير المالية. ما يتعلق بالنقدين ، وما يتعلق بثمرات الأرض ، وما يتعلق بالنبات والحيوان. وأبواب الفقه الإسلامى مفصلة وواضحة بالنسبة لكل صيغة من صيغ التعامل. ولقد أحل الله البيع وحرم الربا .. وأمرنا بالأمانة ، وحرم الخيانة وشرع الخيار بين المبتاعين.

١- رواه البخارى

وأبواب الفقه الإسلامى : السلم والقرض والرهن ، والضمان ، والكفالة ، والحوالـة ، والصلح ، والحجر ، والوكالة والشركة والمضاربة والمساقاة والمزارعة والإجـارة ، والعارية ، وحكم الغصب والشفعة والوديعة ، وإحياء الموات ، والجعالـة واللقطـة ، والوقف والهبة والعطية ، والهدية ، والوصايا ، والفرائض .. فما معنى هذه الأنواع؟

أليست تشريعات إلهية ، ومبادئ وقوانين أخذت مكانهـا فـى ديننـا صـيانة للاقتصاد الإسلامى ، وحفاظا على حق كل صاحب حق؟ .... فأين تلك التشـريعات من القوانين البشرية ، والنظريات الحديثة القابلة للخطأ والصواب؟ بلى إنـه الإسـلام الذى كفل لكل فرد حقه فى الحياة.

دعوة الإسلام إلى أمن النفس البشرية

فى التربية الإسلامية علاج أصيل ثابت ، وعلاج آخر مباشـر يطلـب مـن الإنسان المسلم أن يصحبه كلما استفزه موقف يثير مثل هذه الآفات والرذائل ، وأساس هذه الآفات هو الغضب.

النوع الأول – العلاج الأصيل:

أما العلاج الأصيل الثابت فهو مطلب قبل أن تبرز تلك الآفـات. والإنسـان المسلم مطالب باستحضار هذا العلاج ، واستمراره وبمثل مقتضياته.

والعلاج الأصيل هو التحلى بمكارم الأخلاق ومقاومـة الـنفس مـن أسـباب الغضب. فعلاج كل علة ، إنما يكون بحسم مادتها ، وإزالة أسبابها. والأسـباب التـى تحمل الإنسان على الغضب كثيرة ، جماعها : الأخلاق السيئة ، والعادات المذمومة ، التى يجب على المسلم أن يتحاشاها وأن يبتعد عنهـا ، منهـا : الغـرور والزهـو ، فالإنسان المغرور أو المزهو بنفسه ، يرى نفسه فوق الناس ، ويحمله زهـوه علـى التحامل على الناس والنيل منهم ، بسبب أبسط الأمور. من ذلك الممـاراة والمـزاح والهزل ، وشدة الحرص على المال والجاه ، وغير ذلك من الأسباب.

وكثير من الناس يسمى الغضب شجاعة ورجولـة ، وعـزة نفـس وكرامـة ومحافظة على الشخصية ، وهذا خطأ فاحش يحاول به البعض تبرير غضبهم ، إذ إن الإنسان بطبيعته البشرية حين يتجاهل حقيقة نفسه يتغاضى عن عيوبه ، لا يحـاول أن

ينظر إلى أخطائه ، ولا يحاول أن يفكر فيها إلا بالقدر الذى ينتصر فيه لنفسه أو الذى يأخذ فيه أكبر قسط من دوافعه النفسية مهما كانت خطأ.

وربما لو تريث فى شأنه ، وتمثل فى تفكيره ، وراجع نفسه يحس بالخطأ ويستشعر نتيجة سرعته وعجلته وغضبه ، وهذا يحدث لدى كثير من الناس.

وأما النوع الثانى لعلاج النفس البشرية من الغضب ، فهو العلاج المباشر الذى يكون بعد هيجان الغضب وحدوثه ، فذلك يتدبر ما دعا إليه الإسلام من التخلق بالتسامح والرفق وكظم الغيظ بالخوف من مؤاخذة الله وعقوبته .. وبالحذر من عاقبة العداوة ، ونهاية الانتقام. ومحاولة التفكير فيما يدعوه إلى الانتقام فيمنعه ويكظم غيظه إلى غير ذلك من الأمور.

وفى الإسلام أسمى الطرق التربوية وأنجحها فى علاج النفس البشرية ، وإطفاء جذوة الغضب التى تشتعل فيها. وكان للإسلام بذلك فضل السبق على سائر الطرق التربوية الحديثة لأنه يدعو إلى:

أولا: تغير الموقف الذى عليه الإنسان ، والحال التى اشتغل معها فيغيرها ، ويريح أعصابه ويهيؤها للهدوء ، والسكينة وللحلم والطمأنينة ، فإذا كان قائما فليجلس ل، فإذا لم يذهب غضبه فعليه أن يضطجع. عن أبى ذر – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : **(إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)** (١)

وإذا كان هذا النوع من العلاج تغييرا للموقف ، وإعطاء الجسم والأعضاء قسطا من الهدوء والسكينة ، والراحة والطمأنينة فإن هناك نوعا آخر ترشد إليه السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

عن أبى وائل القاص قال: دخلنا على عروج بن محمد السعدى فكلمه رجل فأغضبه ، فقام فتوضأ فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ :**(إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من نار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)** (٢)

١- رواه أبو داود

٢- رواه أبو داود

وأما النوع الثالث من العلاج ، فذلك بالبعد عن الشيطان ومحاولة التخلص من هواجسه ، ونزواته ، بالتوجه إلى الله – تعالى – والاستعاذة به من الشيطان.

فعن سليمان بن صرد – رضى الله عنه – قال : استَبَّ رجلان عند النبى ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه ، وتنتفخ أوداجه ، فنظر إليه النبى ﷺ فقال : **(إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه هذا – أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبى ﷺ فقال : هل تدرى ما قاله رسول الله ﷺ آنفا قال : لا. قال: إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه هذا – أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقال له الرجل : أمجنونا ترانى؟)** [١]

والناس فى غضبهم يتفاوتون ، وليسوا سواء فى سرعة الغضب أو بطئه ، وإنما منهم من يكون سريع الغضب ، سريع الرجوع ، ومنهم من يكون بطيئا فى غضبه سريعا فى رجوعه ، وهكذا..

وخير الناس من كان بطئ الغضب سريع الفئ [٢] ، وشر الناس من كان سريع الغضب بطئ الفئ.

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – **(أن رجلا قال للنبى ﷺ : أوصنى ، قال : لا تغضب – فردد مرارا ، قال : لا تغضب)** [٣]

إنها نصيحة موجزة ، وعبارة مختصرة ، ولكنها فى غاية القوة والبلاغة ، لأنها تحذر من آفة الآفات ، ومن سبب كل انفعال وشره ، وهو أن الغضب يجمع الشر كله ، حين يفكر الإنسان فيه ، وفيما ينتج عنه.

عن حميد بن عبد الرحمن ، **(عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : قال رجل : يا رسول الله أوصنى ، قال : لا تغضب. قال : ففكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله)** [٤]

إن منع الغضب ، وكظم الغيظ من سمات المتقين ، الذين يتأدبون بأدب الإسلام. قال – تعالى – :

١- رواه البخارى ومسلم
٢- الفئ : الرجوع
٣- رواه البخارى
٤- رواه أحمد

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١]

إن مجالس الغضب والانفعال هى مراتع الشيطان ، وإن مجالس العفو والتسامح ، والحلم والسكينة هى مقاعد الخير كله ، ولقد وعى سلفنا خطورة الغضب. وأدركوا آثار التسامح والصبر والحلم ، فكانوا أمثلة طيبة فى كل سلوك خير كريم.

وكان رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – يوجههم بين كل آونة وأخرى بالأدب الرفيع ، والقيم المثلى. فعن ابن المسيب – رضى الله عنه – قال : **(بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه ، وقع رجل بأبى بكر – رضى الله عنه – فآذاه ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه ثانية فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثالثة فانتصر أبو بكر ، فقال رسول الله ﷺ ، فقال أبو ربكر – رضى الله عنه – : أوجدت علىَّ يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ : نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك ، فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان)** [٢]

١- سورة آل عمران : ١٣٤

٢- رواه أبو داود

المبحث العاشر

الإسلام والنظم السياسية والاقتصادية والثقافية

مصدر الحكم فى الإسلام:

لما جاء الإسلام وضع للحكم نظاما صالحا ، لم يكن معروفا فى أى مجتمع من المجتمعات السابقة ، وكانت له أسسه الواضحة التى تصلح لكل المجتمعات ، وفى كل زمان ومكان. والإسلام يستمد قواعد الحكم من دستور سماوى ، هو القرآن الكريم ، فهو لم يترك للعقل البشرى وضع هذا النظام ؛ لأن الإنسان يخطئ ويصيب ، وكل قانون وضعه الإنسان على مدى العصور ، قد أصابه التغير ، وهذا دليل على أن قانون البشر لا يسلم من الخطأ.

وقد يرفض الإنسان تشريع إنسان مثله ، ولكنه لا يرفض تشريع الله –سبحانه– الذى خلقه.

قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴾[١]

أسس الحكم فى الإسلام:

(١) الشورى:

المراد بالشورى .. استعانة الحاكم برأى غيره ، من الحكماء والعلماء وذوى الخبرة وأهل الرأى للوصول إلى أصح الآراء فيما يصادفه من مشكلات ، وقد حث الإسلام على الاستمساك بهذا المبدأ ، واتخذه أساسا للحكم.

١- سورة النساء : ٥٨ ، ٥٩

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[١]

ويتحقق مبدأ الشورى بأمرين:

أ) اختيار الحاكم ، ومبايعته على الطاعة ، وقد كان المسلمون يختارون من يرونه أهلا للقيام بالحكم ، فتتم له البيعة. وإذا نظرنا فى بيعة "أبى بكر" –رضى الله عنه– بعد وفاة النبى ﷺ وبيعة "عمر" وبيعة "عثمان" وبيعة "على" –رضى الله عنهم جميعا– وجدنا الناس يجتمعون ويختارون خليفتهم ، ثم يبايعونه ، وإذا كان النبى ﷺ قد كلف "أبا بكر" بأن يصلى بالناس ، عندما مرض الموت ، إلا أن الناس قد بايعوه بالخلافة بعد وفاته. وإذا كان "أبو بكر" قد أشار باستخلاف "عمر" .. إلا أن الناس قد بايعوه ، وإذا كان "عمر" قد رشح ستة من الرجال للخلافة بعده ، إلا أن الناس اختاروا "عثمان" وبايعوه ، وكانت الكلمة الأخيرة فى كل مرة للمسلمين.

ب) تصريف الحاكم لأمور الشعب ، ويكون ذلك بمشاورته ، والأخذ برأيه مادام صالحا – ، وكان رسول الله ﷺ كثير المشاورة لأصحابه ، ليستخرج منهم الرأى فيما لم ينزل به وحى ؛ خاصة فيما يتصل بأمور الحياة. ففى غزوة "بدر" .. أخذ النبى ﷺ برأى "الحباب بن المنذر" حين اقترح عليه أن ينزل فى غير المكان الذى استقر فيه الجيش ، وتحول الجيش فعلا إلى المكان الذى أشار به ، وحدث ذلك فى غزوات أخرى. كما أخذ النبى ﷺ برأى زوجته السيدة "أم سلمة" –رضى الله عنها– فى صلح الحديبية ، حين أشارت عليه بأن يخرج إلى أصحابه ، ثم يذبح هدية (أضحية) ، وفعل المسلمون مثله ، وهذا دليل على أن رأى المرأة يعمل به ، إذا وافق الصواب.

١- سورة الشورى : ٣٨

وقد سار الخلفاء الراشدون سيرة نبيهم –عليه الصلاة والسلام– فكانوا يستشيرون أهل الرأى فى الأمور السياسية وغيرها ، وامتدت المشاورة على الحاكم ، وطريقة اختياره ، واختيار الولاة ، وتسيير الجيوش ، وتوزيع الغنائم.

ولما تمت البيعة "لأبى بكر" ، خطب الناس فقال : " لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإذا أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيت فلا طاعة لى عليكم"

وفى عهد "عمر" –رضى الله عنه– جُعِل من الصحابة مجلس شورى ، فكان لا يصنع قرارا ، ولا يلغى قرارا قائما إلا بعد عرض الأمر على المجلس ، لمناقشته ، والوصول إلى أفضل رأى فيه ، وأنفع قرار.

ويقول رسول الله ﷺ

" **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما يحب ويكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**" (١)

كما يقول رسول الله ﷺ " **ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم**" (٢)

وبهذا المبدأ حقق الإسلام فكرة اشتراك الناس فى الحكم ، وإعدادهم للقيادة ، واقتناعهم بما يتخذ له من الآراء ، والعمل على تنفيذها.

(٢) **كفالة حقوق الإنسان**:

ومن أسس الحكم فى الإسلام ، أنه قرر للإنسان حقوقه ، منذ أن أشرق بنوره على وجه الأرض ، فأعطاه حق الحياة والأمن ، وكفل له الحريات على اختلاف ألوانها ؛ حرية العقيدة ، وحرية الرأى ، وحرية الملكية والتصرف فيها ، كما كفل له حق الكسب ، وحق التعليم ، ورعاية غير القادرين.

(٣) **العدالة** : وهى قوام الحكم فى الإسلام فى مختلف مجالاته ، فالناس أمام التكاليف الدينية سواء ، فلم يكلف الإسلام أحدا منهم بما أعفى منه الآخر ، وهم كذلك أمام الحريات والحقوق السياسية ، وهم سواء فى وظائف الدولة ، لا ميزة لأحد فيها على أحد. والعدالة الاجتماعية مكفولة للجميع ، فلا عنصرية بسبب الدين أو الجنس أو

١– رواه البخارى

٢– رواه البخارى

اللون ، وبالعدالة يطمئن الناس ، فيعملون آمنين ، وينطلقون إلى تحقيق أهداف الفرد والجماعة هادئين.

العلاقة الدولية فى النظام السياسى فى الإسلام :

لم يفعل الإسلام العلاقات ، لأن الأساس فى خلق البشر التعارف والتآلف ، مهما تنوعت الأجناس ، واختلفت اللغات ، وتعددت الأوطان ، وبعدت المسافات.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[١]

ومن هذا المنطلق .. حرص الإسلام على ربط الناس جميعا برباط واحد ، يقوم على أساس من التعاون والإخاء ، تأكيدا للمسلم ، ومنعا للحرب ، ولا جدال فى أن ميثاق "الأمم المتحدة" الذى يدعو إلى أن أصول من الحرية والإخاء والمساواة ، تجمع بين شعوب العالم ، إنما هو فكرة الإسلام ودعوته منذ أن ظهر.

ومن أهم المبادئ التى قررها الإسلام فى العلاقات : احترام العهود ، وعدم الإخلال بالمعاهدات ، واحترام حرية الشعوب ، وعدم التدخل فى شئونها الداخلية ، ومن الأمثلة على ذلك أن رسول الله ﷺ لم ينقض عهدا عاهد عليه المشركين بعد أن تم له فتح "مكة" وظلت عهوده قائمة حتى انتهت مدتها المقررة لها ، وفى صلح الحديبية لم ينقض شرطا من شروطه إلى أن طلب المشركون إلغاء بعض الشروط الواردة فى هذا الصلح ، وعلى هذا النهج صار المسلمون بعد رسولهم ، يحترمون العهود والمواثيق الدولية إلى يومنا هذا.

الإسلام والنظام الاقتصادى

اهتم الإسلام بالاقتصاد لأنه عصب الحياة ، ووضع له نظاما يتفق وروحه وطبيعته ، فهو دين الإنسانية والعدالة ، يعرف حاجة الإنسان الضرورية التى لابد منها لمعيشته وكفايته ، فكان النظام الاقتصادى الإسلامى ملائما لطبيعة الإنسان ، لأنه

١- سورة الحجرات : ١٣

لم يكن من وضع البشر ، ولكنه من وضع خالق البشر ، والخالق أعلم بما يصلح الخلق ، وينظم حياتهم.

وأقام الإسلام العلاقة بين المسلمين على أساس الأخوة والمودة والرحمة.

يقول رسول الله ﷺ: "**ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**"(١)

أركان الاقتصاد فى الإسلام :

١- الأخوة: فهم يعيشون فى ظل أسرة واحدة ، الفرد فيها مسئول عن الجماعة ، والجماعة فيها مسئولة عن الفرد ، ومع هذه الروح الأخوية ، عدالة تأخذ من القادر – دون إرهاق – وتعطى لغير القادر.

٢- فرض الزكاة: تأكدا لمبدأ التكافل الاجتماعى ، فعندما بدأت الأموال تتجمع لدى بعض الأغنياء من المسلمين ، بفضل ما حصلوا عليه من الغنائم والفئ ، وما تجمع لهم من أرباح التجارة ، نزلت الآية القرآنية التى تقرر مبدأ تحريك الأموال وتعميمها ، حتى لا تتجمع فى أيدى قلة من الأفراد ، فيتخذوا منها أداة للسيطرة والبغى فى الأرض.

قال تعالى:

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢)

مواقف عملية:

كان أول مبدأ تحقق عمليا فى مجتمع المدينة ، هو مبدأ الأخوة ، فدعا الرسول ﷺ المهاجرين والأنصار إلى الإخاء ، فالمهاجرون الذين تركوا أموالهم فى "مكة" وجدوا ما عوضهم عنها فى "المدينة المنورة" ، وأوى النبى ﷺ بينهم ، ولقد أبدى الأنصار فى هذا الموقف حسن الإيمان ، فعرضوا على المهاجرين أن يشاركوهم

١- رواه البخارى

٢- سورة الحشر : ٧

أموالهم ودورهم ، ويسروا لهم المسكن والزواج ، ومع هذه الأخـوة الصـادقة ، لـم يرض المهاجرون أن يعيشوا عالة على إخوانهم من الأنصار ، فخرجوا إلـى ميـدان العمل والكسب.

وفى عهد "أبى بكر" –رضى الله عنه – سار سيرة رسول الله ﷺ فكان يجمـع الزكاة وأموال الغنائم ، ويضعها فى بيت مال المسلمين ، ثم ينفق منها على مصـالح الدولة ، ويقسم الباقى بين المسلمين ، ولهذا خاض الحرب ضد المرتـدين الممتنعـين عن أداء الزكاة ، ولم يقبل التهاون فى أدائها ، لأنها أساس من أسس الدين ، وركـن من أركان الاقتصاد الإسلامى.

خصائص الاقتصاد فى الإسلام:

١– أعطى الإسلام المرأة الحرية فى التصرف فى أموالها دون تدخل من أحـد ، متى أصبحت فى سن الرشد.

٢– أباح الإسلام الملكية الخاصة ، وجعلها منفعة عامة ، تعـود بالفائـدة علـى صاحب المال ، وعلى غيره من الناس ، لأن للمال رسالة فى الحياة ، تقـوم على تنمية المجتمع ، وإنعاش الاقتصاد العام للأمة. ومتى كانت الملكية سليمة ، بعيدة عما يلوثها ، وجب على الدولة حمايتهـا ، وألا تنتزعهـا إلا بـالحق وللمصلحة العامة.

٣– الاقتصاد فى الإسلام نظام يفرض على الفرد مجموعة من القيم والمثل العليا ، التى تجعله نظاما إنسانيا أخلاقيا ، وظيفته إسعاد الناس فى الـدنيا والآخـرة. والملكية فيه لابد أن تكون من طريق حلال طيب ، ومن عمـل مشـروع لا يتعارض مع مبادئ الدين ، وقيم الأخلاق.

٤– حدد الإسلام مجال تنمية المال ، فأباح استثماره فى كل المجالات التى تنفـع الناس ، ولا تضر بمصالحهم.

٥– حرم الاقتصاد فى الإسلام كل أنواع الغش والاستغلال والاحتكار، فليس منـه قبول الرشوة أو انتهاز حاجة المحتاجين لزيادة السعر ، وليس منه الغش فـى

الكيل أو الميزان ، أو فى نوع السلع. قال رسول الله ﷺ "**من غشنا فليس منا**"[١]

وإذا كان الإسلام قد حرم الغش والاحتكار .. فقد حرم الكذب والخيانة ، وخلف الوعد ، والمماطلة فى أداء الحقوق ، واستغلال الظروف ، وغير ذلك من الصفات الذميمة ؛ التى تحول النظام الاقتصادى من نظام إنسانى أخلاقى ، يراعى الصالح العام إلى نظام شخصى أنانى لا يراعى إلا مصلحة الفرد .

٦- حرم الإسلام فى نظامه الاقتصادى الربا ، لما فيه من استغلال لحاجة الإنسان ، وأخذ ماله دون وجه حق ، ولما فيه من انعدام للتعاطف والرحمة فى المجتمع.

الاقتصاد فى الإسلام لمصلحة الفرد والمجتمع:

يهدف الإسلام إلى حماية المسلم فى إطار المجتمع ، بأن يراعى حقه فى الملكية الفردية ، على أن يراعى الفرد ما عليه من واجبات نحو مجتمعه ، فالإسلام يحض الأغنياء على أن يساهموا بأموالهم فى وجوه الخير ، التى تعود على المجتمع بالنفع والفائدة ، مثل:

١- إقامة المساجد للعبادة.

٢- إقامة المدارس ليتعلم فيها الجميع بلا مقابل ، وإقامة المستشفيات للعلاج بالمجان.

٣- إقامة موارد المياه ، لمنفعة كل إنسان.

الإسلام والنظم الثقافية

أولا: **الثقافة**:

الثقافة من الموضوعات المهمة فى حياة الإنسان ، لأنها تتصل به ، وتعبر عنه ، وتسجل تطوره ، وتبرز تقدمه على مر العصور والأزمنة. والثقافة هى العلوم والمعارف التى يتوصل إليها الإنسان بعقله وفكره ، وتأمله وملاحظاته ، وهى عنوان المجتمعات البشرية التى تحدد ملامحها ، وتوضح اتجاهها ، وتبين عقائدها

١- رواه مسلم

التى تؤمن بها ، ومبادئها التى تحرص عليها ، وتراثها الذى تحافظ عليه ، وتحب له الشيوع والانتشار.

مفهوم الثقافة فى الإسلام:

هى المعارف التى تدل على شخصية المسلم ، وتقوم على عقيدة التوحيد ، وعلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، والتحلى بالأخلاق الكريمة.

نشأة الثقافة فى الإسلام:

نشأت مع نزول الوحى على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ثم تنوعت الثقافة لتشمل جميع جوانب الحياة ، وقد بعث الرسول ﷺ للناس جميعا ، وكانت دعوته عامة ، ولم تكن لقوم دون قوم. قال رسول الله ﷺ " بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود" (١)

مصادر الثقافة فى الإسلام:

١- القرآن الكريم ، وهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية ، وقد اشتمل على : العقائد والعبادات والتهذيب والتشريع والأخلاق ، التى تحقق للناس السعادة فى الدنيا والآخرة.

٢- السنة النبوية: وهى ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

٣- التراث الإسلامى: وهو كل ما ورثه المسلمون عن أسلافهم من علوم ومعارف وأفكار واتجاهات فى شتى المجالات المختلفة

أثر الإسلام فى الحركة الثقافية:

حث الإسلام على كشف أسرار الطبيعة ، والوقوف على نظم الكون ، والدليل على ذلك أن الله -تعالى- سخر لنا البحار والأنهار والأرض والسماء ، وسخر لنا الكواكب والنجوم ، والشمس والقمر ، وسخر لنا الكون كله.

لقد سخر الله الكون للإنسان ، وهو -سبحانه- يطلب منه أن يجوب الفضاء ، وأن يغوص فى الماء ، وأن يبحث كل شئ فى هذا الكون ، حتى يتسنى له الإيمان والإقرار بعظمة الله ، وهيمنته على العالم.

١- رواه البخارى

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

كما نشر الإسلام بين العرب كثيرا من التعاليم ، التى رفعت مستواهم العقلى ، كما نشر بينهم كثيرا من أحوال الأمم السابقة ، وقص كثيرا من أخبار الأنبياء.

كان للإسلام أثر كبير فى الحياة العقلية ، وهو أنه سلك فى دعوته إلى الإيمان بالله مسلكا يثير العقل.

خصائص الثقافة فى الإسلام:

١- تقوم على أساس روحى عن طريق الإيمان بالله ، وتحرر الإنسان من الجهل الذى يميت عناصر القوة فى الأفراد والجماعات والأمم.

٢- تحمى حقوق الإنسان ، وتفسح الطريق لكل من يؤمن بالحق ، ويعمل للخير.

٣- تربى الإنسان على حرية الفكر ، واستقلال الشخصية ، واحترام العقل ، وتدعو إلى البحث والنظر الدائم فى خلق الله نظرا علميا يحقق الكمال الروحى للإنسان مع التماس عون الله.

ثانيا : **الفنون والآداب**:

الأدب بصفة عامة لون من ألوان الفنون ، وهو يضم الشعر والنثر الفنى كالقصة والمسرحية والمقالة وغيرها ، فما الأدب الذى يرضى عنه الإسلام؟ الأدب الذى يقبله الإسلام هو الأدب الداعى لإصلاح المجتمع البشرى ، والسير فى طريق الكمال ، لأن من يضع لبنة فى صرح الفضيلة ، فإنما يضعها فى صرح الكمال ، ويكون جزاؤه عند الله عظيما.

١- سورة الأنعام : ٩٥ - ٩٧

موقف الإسلام من الأدب:

قد يسأل سائل ، هل الأدب بألوانه حرام فى نظر الإسلام أم حلال ؟

ونرجع معا إلى سنة رسول الله ﷺ نرى ما فيها ، ونرى منها الصواب.

"فعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفت [١] خلف رسول الله ﷺ يوما ، فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ؟ قلت : نعم ، قال : هيه [٢] ، فأنشدته بيتا ، فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتا ، فقال هيه ، حتى أنشدته مائة بيت" [٣]

ومن الحديث نفهم أن النبى ﷺ استحسن شعر أمية ، واستزاد من إنشاده ، لما فيه من إقرار بالوحدانية والبعث ، وكان قوله أو سماعه جائزا ، وهو مباح ما لم يكن فيه فحش ، وهو كلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح.

ومما قاله الإمام الشافعى – رضى الله عنه – "الشعر نوع من الكلام ، حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام"

والخلاصة ؛ أن الأدب شعره ونثره مباح ، مادام يدعو إلى الفضيلة ، ويحقق المتعة والفائدة للفرد والمجتمع.

ثالثا : **الموسيقى والغناء**:

الموسيقى لغة عالمية ، يسمعها الناس جميعا على اختلاف ألسنتهم فيطربون بها ، ويفرحون لها.

والغناء صوت جميل يرتاح له القلب ، وتهتز معه النفس ، إذا كان ترديدا لكلام طيب جميل ، لا يخدش الحياء. والإسلام قد شرع الغناء فى العرس ، ودعا إليه ، ولم ير فيه عيبا ولا بأسا ، مادام لا يذكر فيه باطل أو منكر. فعن عائشة – رضى الله عنها– قالت: زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبى ﷺ : " يا عائشة ، ما كان معكم من لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو" [٤]

١- ردف : ركب خلف

٢- هيه: زدنى مما حفظت

٣- رواه مسلم

٤-رواه البخارى

والمراد باللهو : الغناء والألحان. **وعن ابن عباس – رضى الله عنهما– قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار ، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أهديتم الفتاة؟ قالوا : نعم ، قال: أرسلتم معها من يغنى؟ قالت: لا ، فقال رسول الله ﷺ هلا بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم ، فحيانا وحياكم.** (١)

ومن الحديثين السابقين نعلم أن الغناء قد أباحه النبى ﷺ ودعا إليه فى العرس ، لإشاعة البهجة والفرحة ، فى مثل هذه المناسبات الكريمة ، وهو يعدد بعض نعمه على آل داوود . قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾(٢)

لقد منح الله – سبحانه – سيدنا "داوود" –عليه السلام– فضلا عظيما ، فوهبه الحكمة ، وأنزل عليه كتابا هو "الزبور" ، وكان صاحب صوت جميل ، إذا سبح الله به ، تسبح معه الجبال ، والطير بلغاتها.

ولقد استمع رسول الله ﷺ إلى أبى موسى الأشعرى ، وهو يقرأ القرآن بصوت جميل ، فقال: "**لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود**" (٣)

1- رواه ابن ماجه
٢- سورة سبأ : ١٠ – ١٣
٣- رواه البخارى

رابعا: **فن الرسم والتصوير والمجسمات**:

الفنون التشكيلية بما فيها من رسم وتصوير ونحت وتصميم من الفنون الراقية ، التى تهذب النفس وترتقى بالوجدان ، ومن خلالها يستشعر الإنسان قدرة الله فى خلقه وإبداعه فى هذا الكون البديع.

وتزدهر الحضارة الإسلامية بعديد من الفنون ، التى ظهرت فى العمارة والأثاث ، وزيارة إلى المتحف الإسلامى بالقاهرة تطلع المشاهد على عظمة هذه الحضارة الإسلامية. قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]

تقول الآيات السابقة إن شاء الله –سبحانه– أنار السموات والأرض ، فإذا رأيت الشمس ساطعة أو القمر منيرا ، فذلك بفضل الله ، وإن مثل نور الله ، كمثل نور مصباح شديد التوهج ، وضع فى فجوة فى حائط ، والمصباح فى زجاجة تقيه الريح ، وتصفى نوره ، فيتألق ويزداد ، كما أن الزجاجة لامعة صافية ، كأنها كوكب يشبه الدر فى صفائه ، والمصباح وقوده زيت شجرة كثيرة البركات طيبة التربة والموقع ، وهذا الزيت يكاد لصفائه وبريقه ، يضئ بنفسه ، من غير أن تمسه النار فهو نور على نور .. وتذكر الآيات أن الله – سبحانه – يهدى من يشاء إلى الإيمان ، إذا

١- سورة النور : ٣٥ – ٣٨

أدركه نور الله ، وانتفع بنور عقله وهداية قلبه ، وأن هذا النور يستقر في بيوت طاهرة عامرة بذكر الله ، فيها رجال طهرت قلوبهم ، وحسنت أعمالهم ، لا تشغلهم الدنيا بما فيها من بيع وشراء عن ذكر الله ، كما أنهم يخافون ربهم ويخشون عقابه ، وستكون عاقبة أعمالهم الثواب العظيم والجزاء الحسن.

أما فيما يتعلق بصناعة المجسمات (التماثيل) فالعلماء متفقون على حرمة اقتنائها ، إذا كان الغرض منها العبادة أو التقديس ، لأنها رجس من عمل الشيطان يجب البعد عنه. قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾[1]

١- سورة الحج : ٣٠

المبحث الحادى عشر
من أسس التوازن البيئى في الإسلام

الأسس التى تحقق التوازن البيئى فى الإسلام كثيرة جدا ، منها:

ترشيد الاستهلاك ، شيوع الحب والتعاون بين الناس، السماحة والتوسط في الأمور،العمل وزيادة الإنتاج من أجل خدمة الإنسانية جمعاء ، المحافظة على المال إلى الخاص والمال العام وعلي البيئة. ولكننا سنتناول بعض الأمور التي نراها تشكل التوازن في العصر الحالي وتشغل بال الكثيرين ، ومطلوب منا جميعاً أن ننظر إليها بعقل سليم بعيد عن الأهواء ، وبفهم واع لأصول الدين الإسلامي بلا تعصب لرأي أو مصادرة فكر علي أن يكون هدفنا الصالح العام الذي نزلت كل الأديان من أجله ، ونرجو أن يكون هو تغليب ما فيه فائدة للصالح العام علي الصالح الخاص الأول يعود بالنفع علي الثانى لناه بعقول مفتوحة واعية ، ومن هذه الأمور التي نوهنا عنها :

(أ) **تنظيم الأسرة** :

من أهم الأمور التي تحافظ علي التوازن البيئي في الكون " تنظيم الأسرة ".

وتنظيم الأسرة هو تنظيم للجنس البشري أفضل مخلوقات الله – سبحانه وتعالي– في هذا الكون الذي يعج ببلايين المخلوقات. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١)

وكلمة التنظيم تعني النظام والدقّة والإتقان ، وتنظيم أي أمر من الأمور يزينه ولا يعيبه ، بل المعيب هو عدم التنظيم ، ولذا يقال : هذه أمور عظام لو كان لها نظام ، أي أن هذه الأمور لو كانت منظمة لأصبحت عظيمة ، والأمثلة علي ذلك كثيرة ، فكل الناس معجب بالنظام المتقن لمجموعات النحل ، وتنظيمات النمل ، وأسراب الحمام التي تطير في تنظيمات رائعة ، فسبحان من علمها النظام وألهمها التنظيم هي وغيرها من مخلوقات الله .وإذا كان هذا الحال في لا يعقل من المخلوقات ، فما بالونا

١– سورة الإسراء : ٧٠

بالإنسان الذي ميزه الله – تعالي – بالعقل وجعله خليفته في الأرض علي كل الخلائق؟ المطلوب من الإنسان أن ينظم أموره المالية والصحية والاجتماعية والسياسية ، حتـــى تستقيم حياته وتتطور وترقي إلي الأفضل .

الإسلام نظام وتنظيم

بنظرة سريعة إلي تعاليم الإسلام وأركانه وأحكامه نجد أن النظام هو الجانـــب المشترك فيها جميعا. فالصلاة نظام في أركانها وأعمالها بدأ مـــن الضـــوء ومـــرورا بالوقوف أمام المولي – عز وجل – وانتهاء بالتسليم كما أن تسوية الصفوف في صلاة الجماعة من تمام الصلاة .

شهادة من غير المسلمين:

وقف بعض السائحين من جنسيات مختلفة في جانب من الجامع الأزهر الـــذي كانوا في زيارته ، وقد وقف المصلون لأداء صلاة الظهر ، وظلوا ينظرون مبهورين من أداء المسلمين للصلاة ، وبعد أدائها ، نطق أحدهم بعبارة : " إنه شـــيء رائـــع " فسأله أحد الطلاب وكان يتقن اللغة الإنجليزية التي تحدث بها السائح : ما هذا الشيء الرائع ؟ أجاب السائح : هذا النظام الرائع ، فكلكم قد وقفتم وقفة كلها خشـــوع خلـــف القائد " الإمام " وتقومون بأداء ما يؤديه بنظام ، لو كانت كل أعمـــالكم بهـــذا النظـــام لتوليتم قيادة العالم كله .

وما يقال عن الصلاة يقال عن الصوم ، فجميع المسلمين يمتنعون عن الطعـــام والشراب فى وقت واحد محدد ويتناولون الطعام فى وقت واحد دون أن يكون هنـــاك من يمنعهم أو يأمرهم إلا الالتزام بتعاليم الإسلام وتنظيم الإسلام.

والزكاة تنظيم مالى يحقق التوازن ، والحج نظام والمعاملات الإسلامية كلها تدعو إلى التنظيم والالتزام.

أخطاء فى فهم المقصود بتنظيم الأسرة

من الأخطاء التى يقع فيها الكثير منا هى أننا نستعمل عبـــارة تنظـــيم الأســـرة بالمعنى المساوى تماما لتنظيم النسل أو تحديده ، وهو خطأ أصبح شائعا فى حياتنـــا ، والصواب أن عبارة تنظيم الأسرة أعم وأشمل بكثير من تنظيم النسل ، وأبعـــد كثيـــرا

عن تحديد النسل. فتنظيم الأسرة يشمل كل شئون الأسرة اجتماعيا واقتصاديا وصحيا وثقافيا ... إلى آخره.

- تحسين دخل الأسرة والموازنة بينه وبين أوجه الإنفاق ثم توفير جزء من الدخل لاستخدامه فى الأمور الطارئة هو تنظيم للأسرة ، فال – سبحانه وتعالى – فى سورة الإسراء:

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومًا مَّحۡسُورًا ﴾ (١)

- الرعاية الصحية المستمرة لأفراد الأسرة والتى أساسها التغذية السليمة والتعود على ممارسة الرياضة تنظيم للأسرة.

فعن المِقْدامِ بن معْدِ يكَرِب– رضي اللَّه عنه– قال: سمِعتُ رسول اللَّه–صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم– يقَولُ: (مَا ملأَ آدمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطنِه، حسْبِ ابن آدمَ لقيمات يُقِمْنَ صُلْبُهُ، فإِنْ كَانَ لا مَحالَةَ، فَثلُثٌ لطَعَامِهِ، وثُلُثٌ لِشرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) (٢)

- تثقيف أفراد الأسرة وتعليمهم العلوم النافعة ، ونقل خبرات الكبار إلى الصغار تنظيم للأسرة ، ولعلنا جميعا نعلم أن أول ما نزل من القرآن الكريم قوله – سبحانه وتعالى – :

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ (٣)

وعن عثمان بن عفان – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)** (٤) . وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **(أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)** (٥) ، فعن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال أتينا النبي ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة فظن أنا اشتقنا

١- سورة الإسراء : ٢٩

٢- رواه ابن ماجه

٣- سورة العلق : ١ – ٥

٤- رواه البخارى

٥- رواه أبو داود

أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه وكان رفيقا رحيما **فقال** "**ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم**"[١]

- مراعاة العلاقات الاجتماعية والالتزام بالأدب وتعويد الأبناء ممارسة حقوقهم والالتزام بواجباتهم ، وهو أيضا تنظيم للأسرة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه)**[٢]

أما تنظيم النسل فهو جزء من تنظيم الأسرة وليس مساويا له.

الخطأ الثانى خطأ يقع فيه الكثير من الناس وخصوصا من كتبوا أو تحدثوا فى هذا المجال ، وهو أنهم يحددون مفهوم تنظيم النسل على أنه تقليل عدد المواليد والحد منه ، والصواب أن هذا المفهوم يشمل أمرين متضادين:

أولهما: الرغبة فى تقليل عدد المواليد والحد منه فى بعض المناطق أو البلدان التى بها زيادة عددية تفوق دخلها من الزراعة والصناعة ووسائل الإنتاج ، مثل الصين والهند وبعض البلاد الإفريقية والأسيوية.

ثانيهما: الحث على زيادة المواليد فى بعض المناطق أو البلاد التى بها نقص فى الأعداد البشرية مما يؤثر فيها سلبا على التنمية ووسائل الإنتاج كما فى بعض دول أوروبا مثل: ألمانيا والنمسا والسويد والنرويج وغيرها ، وفى قارة استراليا التى تشجع على الإنجاب أو الهجرة إليها لسد احتياجاتها فى دفع عجلة الإنتاج.

فالتنظيم يشمل الأمرين المتضادين : التقليل أو الزيادة حسب متطلبات المجتمع المنظم.

وبهذا نكون قد وصلنا إلى التنظيم فى أى أمر من الأمور مزية وليس عيبا ، ولعل أكبر مثال على أهمية التنظيم فى حياتنا هو أن ننظر إلى ما خلق الله – سبحانه

١- رواه مسلم

٢- رواه البخارى

وتعالى – فى الكون من حولنا لنرى أعظم تنظيم وتنسيق فى خلق الشـمس والقمـر والبحار والأنهار والليل والنهار فسبحان الخالق العظيم الذى قال فى كتابه الكريم:

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (١)

تنظيم النسل

المعنى المقصود ، والهدف المطلوب من تنظيم النسل هـو المحافظـة علـى التوازن داخل الأسرة والمجتمع بالصورة التى تتيح للأفراد حياة سعيدة بعيدة عن الفقر والمرض والجهل والتخلف ، حياة كلها عزة ورخاء وقوة وغنى. فعن أبى هريـرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ **(المؤمن القوي خير وأحب إلـى الله مـن المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا، ولكن قل، قدر الله، وما شاء فعل، فإن لـو تفتح عمل الشيطان)** (٢)

وعندما نتحدث عن تنظيم النسل فى بلد مثل مصر فإننا نعنى الحد من الزيـادة العشوائية الرهيبة التى توشك أن تقضى على الأخضر واليابس وتجرنا إلـى مهـاوى الفقر والتخلف والعوز والاحتياج إلى الآخرين ، وهذا الحد مـن التكـدس السـكانى والزيادة البغيضة يجد للأسف الشديد من يقف فى وجهه ويحاربه ، بل وينادى بعـدم التنظيم وإطلاق النسل والإكثار منه بدعوى أن الإسلام يحرم تنظيم النسـل ويمنعـه وهى دعوى باطلة لا محالة.

إنهم يسيئون إلى الإسلام ويضرون بالمسلمين ، لأنهم لم يفهموا الإسلام فهمـا صحيحا ، بل وقفوا أمام بعض النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة موقفا جامـدا لا مرونة فيه ولا فهم لروح الإسلام وأهدافه.

الإسلام لم يحرم التنظيم كما يدعون ، وإنما الإسلام هو دين النظام والتنظيم ، يفهم ذلك من يفهم الإسلام على حقيقته وجوهره لا من يتجمـد أمـام نصوصـه ولا يتحرك ، ولعل الأفضل من السرد فى الكلام أن نعيش مع تلك المناظرة فى حديث بين

١- سورة الملك : ٣

٢- رواه مسلم

واحد من المسلمين المثقفين المعتدلين الذين يفهمون الدين فهما صحيحا وبين واحد من أولئك المتعنتين الجامدين أى : بين مؤيد لتنظيم النسل ومعارض له.

مناظرة حول تنظيم النسل:

تمت هذه المناظرة بين اثنين من المسلمين ، أحدهما يؤيد تنظيم النسل ويرى أنه مباح شرعا لأنه من الأمور التى لم يرد فيها نص شرعى محدد ، ولذا فهى خاضعة للظروف والأحوال التى تختلف باختلاف الأوقات والبيئات ، وترتبط بظروف كل أسرة وكل دولة وإمكاناتهما ، والثانى يعارض التنظيم ، وحجته فى ذلك أنه من الأمور التى لا تحتاج إلى اجتهاد لأنه يخالف ما جاء فى بعض الأحاديث النبوية ، والآيات القرآنية ، وأنه إضعاف للمسلمين ، والاثنان متفقان على أن (الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية).

المؤيد: لماذا تعترض يا صديقى على تنظيم النسل؟

المعارض : لأن الله – تعالى – قال فى كتابه الكريم:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ (١)

المؤيد : وهل تنظيم الأسرة قتل الأولاد؟ وأى أولاد؟ الذكور أم الإناث؟ إن قتل الأولاد يكون بعد ولادتهم أو قبل ولادتهم وهم أجنة فى بطون أمهاتهم ، ونحن نستخدم من الوسائل ما يمنع.

المعارض: التنظيم يتعارض مع قوله – تعالى – :

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٢)

المؤيد: صدق الله العظيم ، نعم يا صديقى البنون زينة الحياة الدنيا ، ولكن متى يكون الأولاد زينة الحياة؟ أيكون الولد زينة وهو مريض لا يجد مكانا للعلاج ، ولا يملك أبوه ثمنا للدواء بسبب كثرة أعباء الأسرة ومتطلبات أسرته الكبيرة؟ أيكون مفخرة وزينة لأبويه وهو جاهل لا يجد مكانا فى مدرسة؟

١– سورة الإسراء : ٣١

٢– سورة الكهف : ٤٦

عن عامر بن سعد عن أبيه قال : مرضت مرضا أشفيت منه فأتانى رسـول الله ﷺ يعودنى فقلت : "يا رسول الله إن لى مالا كثيرا وليس يرثنى إلا ابنتى أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: لا ، قلت : فالشطر؟ قال لا ، قلت : فالثلث؟ قال : الثلث والثلث كثيـر ، إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير لهم من أن تتركهم عالة يتكففون الناس"(١)

ألا ترى يا صديقى ما فى هذا الحديث الشريف من دروس؟ الرسول الكـريم يوصى أحد أصحابه بأن يكفل لورثته حياة آمنة من الفقـر والعـوز بعـد مماتـه ، والصحابى الجليل عنده من المال ما يكفيه وأسرته وزيادة لأنه اكتفى بما قـدره الله – تعالى – له ، فعنده من الأولاد ابنة واحدة فعاش فى سعادة هو وأسرته وهـا هـو ذا يحاول أن يفيد مجتمعه وقومه بماله.

إن الأولاد زينة الحياة الدنيا إذا أحسن تربيتهم ورعايتهم وإلا فسوف يتحولـون إلى فتنة ، ألم تقرأ قوله – تعالى – :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (٢)

المعارض: وماذا تقول يا صديقى فى قوله الرسول الكريم :**(تناكحوا تناسـلوا فـإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة)** ؟ (صدق رسول الله ﷺ)

المؤيد : يبدو لى يا صديقى أنك لم تفهم هذه العبارة جيدا. بمن يبـاهى الرسـول ﷺ الأمم يوم القيامة؟!! إنه يباهى بالمؤمنين الأقوياء الأعزاء. يباهى بـالكثرة الصـالحة القوية فى دينها ، العزيزة الغالية ، وليس بالكثرة الضعيفة فى عقيدتها المتخلفـة فـى سلوكها ، الذميمة فى أخلاقها ، المحتاجة إلى غيرها ، أهذا الذى تـراه فـى بعـض الأماكن يعبر عن كثرة يباهى بها الرسول الأمم يوم القيامة ؟!! أهذه الكثرة الكثيرة من المتسولين والمتشردين هى المقصودة بحديث رسول الله ﷺ ألم تسأل نفسـك يومـا ، لماذا ازداد معدل الجريمة فى السنوات الأخيرة عن ذى قبل؟!! سنقول هناك أسـباب

١- رواه الترمذى ، عالة : فقراء ، يتكففون : يطلبون الصدقة
٢- سورة التغابن : ١٤ – ١٥

كثيرة اجتماعية واقتصادية .. إلى آخره ، وأنا أؤيد كلامك ، ولكنني أرى أن على رأس هذه الأسباب الزيادة العشوائية فى عدد السكان التى لا يجد معظمها المسكن الملائم والعمل المناسب ، والرعاية الصحية والثقافية اللائقة.

لا يا سيدى ، لقد ذم رسول الله ﷺ الكثرة الضعيفة الذليلة. **فعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قيل أمن قلة نحن يومئذ؟ قال بل أنتم كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ولتنزعن المهابة منكم وليقذفن الوهن في قلوبكم قالوا وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت)** (١)

المعارض: لقد أوضحت لى أمورا كانت خافية عنى ، بارك الله فيك وأكثر من أمثالك ، فأمثالك من المثقفين المتدينين هم الذين يفهمون دينهم فهما صحيحا.

والخلاصة : إن تنظيم الأسرة للنسل لا يتعارض مع الإسلام ، بل إنه يتفق مع الإسلام فى تنظيمه لأمور المسلمين والعمل على ما فيه عزهم وسعادتهم.

(ب) نظافة البيئة عبادة:

اهتم الإسلام بالنظافة اهتماما كبيرا ، ولن نبالغ إذا قلنا إن اهتمام الإسلام بالنظافة لم يظهر له مثيل فى كل الديانات السابقة ، فقد اعتبرها من صميم الإيمان ، ولن يكون إيمان المسلم كاملا إلا إذا تعهد جسمه وملابسه وبيئته ومجتمعه بالتنظيف المستمر. قال الله – تعالى –:﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ (٢)

وقال – عز وجل – :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣)

النظافة فى الإسلام تشمل الجانب الحسى والروحى ، الجانب الحسى يتمثل فى نظافة الأجسام من الأردان وذلك عن طريق الاستحمام والوضوء ، ونظافة الملابس والأماكن.

١- رواه أبو داود وأحمد ، الغثاء : رغوة السيل

٢- سورة الأنفال : ١١

٣- سورة البقرة : ٢٢٢

والجانب الروحى يكون بنظافة القلوب من الشرور والغل والحقد والحسد واليأس والتشاؤم والبغض ، ونظافة العقول من الجهل والأفكار الهدامة والأقاويل الباطلة ... إلى آخره.

فالمسلم حين يغتسل فهو ينظف جسمه كله من العرق والأوساخ التى تؤثر على صحته فيغلق بابا من أبواب المرض ويعيش قويا سعيدا ، والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، كما أنه يمنع الروائح الكريهة التى تنفر الناس منه ، وهو ينظف روحه وعقله أيضا من وساوس الشيطان ومن الكبر والطغيان.

أولا – نظافة الجسم:

يغتسل المسلم على الأقل مرة فى الأسبوع للخروج إلى صلاة الجمعة ، فعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : **(غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم)** (١)

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ **(إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين ، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل وإن كان عنده طيب فليمس منه وعليكم بالسواك)** (٢)

ويغتسل لصلاة العيدين ، وهناك أمور تفرض على المسلم الاغتسال فى غير ذلك. ويأتى الوضوء الذى يتكرر خمس مرات فى اليوم والليلة ، والوضوء ليس عملا روتينيا يؤديه المسلم بحكم العادة ولكنه نظافة جسمية وطهارة روحية ، وليس مجرد تنظيف لظاهر الجلد ، ولكنه يتعدى هذا الظاهر إلى أعماق النفس حتى يؤدى الأثر الروحى منه.

فالمسلم حين يغسل يديه وينظفهما من الوسخ الظاهر ، فهو – أيضا – ينظفهما مما ارتكبتا من آثام وشرور ، وكذلك عندما يغسل فمه ويتمضمض ... إلى آخره .... فأعمال الوضوء تطهر الروح وتنظف الجسد فى وقت واحد ، وتتكرر هذه الطهارة الجسدية الروحية خمس مرات كل يوم .. الوضوء يطهر وينظف الأعضاء والأطراف

١- رواه مسلم

٢- رواه ابن ماجه

التى تتعرض لغبار الجو أو للعرق أو غيره من إفرازات الجسم ، حرصا على سلامته من الأمراض.

فتخليل أصابع اليدين والقدمين فى الوضوء يمنع الأمراض الجلدية كالإكزيما .. وغيرها.

"ذهب شاب إلى طبيب الأمراض الجلدية ، وهو يشكو من فطريات تظهر بين أصابع قدميه ، تؤلمه وفرز رائحة كريهة تضايقه وتضايق من حوله. فسأله الطبيب : لماذا لا تؤدى الصلوات المفروضة عليك؟

فأجابه الشاب: إننى أؤديها ولكن لا أواظب عليها وغالبا ما أصلى فى الصبح. قم فى العشاء فأنا لا أؤديها فى وقتها ، ثم ما علاقة الصلاة بالأمراض الجلدية التى بين أصابع قدمى؟!!

أجاب الطبيب: لو توضأت خمس مرات كل يوم للصلاة لما أصبت بها ، لأنك تغسل قدميك وتنظف ما بين الأصابع بالماء كما حثنا الشرع ، والماء الطاهر النقى يقتل الميكروبات ويمنع بقاءها ويمنع تراكم العرق مما يسبب الروائح الكريهة".

قال الله – تعالى – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ (١)

وعناية الدين بتطهير الفم ، وتجلية الأسنان ، وتنقية ما بينهما عناية كبيرة ، بل، ولم نجد لها نظيرا فى وصايا الأقدمين ، ولا فى الديانات السابقة . قال رسول الله ﷺ:**(تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ما جاءنى جبريل إلا أوصانى بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض علىَّ وعلى أمتى ، ولولا أنى أخاف أن أشق على أمتى لفرضته لهم ، وإنى لأستاك حتى لقد خشيت أن أحْفِى مَقَادِمِ فمى)** (٢)

١- سورة المائدة : ٦

٢- رواه ابن ماجه

وأنا أعرف طبيب أسنان معروفاً بتقواه يعطى كل مريض يأتى للعلاج فرشاة أسنان هدية أو سواكا ، وهو يقول له: إن استخدمت هذه أو تلك كما أمرك الإسلام فلن تأتينا إلا للسؤال علينا والسلام.

ثانيا- نظافة الملبس:

وكما اهتم الإسلام بنظافة الجسم وطهارته فقد اهتم بنظافة الملبس وطهارته وحسن المنظر والمظهر واعتبر هذا من آداب الصلاة ، قال الله – سبحانه وتعالى – :

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (١)

وقال – عز وجل – :﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (٢)

وكان رسول الله ﷺ يعلم المسلمين أن يلتزموا ذلك فى شئونهم العامة والخاصة حتى يظهر المسلم فى سمته وملبسه وهيئته جميلا مقبولا ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ عندما يقبلون على أحد ليتعلموا منه ينظرون إلى سمته ومظهره أولا ، فإن كان نظيف الملبس مقبول الهيئة استمعوا إليه.

ثالثا- نظافة المكان:

لم يكتف الإسلام بحث أبنائه على نظافة الجسم والملبس فقط ، بل امتد اهتمامه بتطهير وتجميل البيوت والطرقات وغيرها حتى لا تكون سكناً للحشرات ، ومصدرا للأمراض ، ولم يتم التطهير والتجميل إلا بنظافتها وتخليتها من الفضلات والقمامات ، قال ﷺ : **(إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود)** (٣)

وأمر المسلمين بإزالة الأذى عن الطريق من أحجار وأشواك وغيرها ، وجعل هذا العمل شعبة من شعب الإيمان ، واعتبر هذا العمل البسيط الذى يستطيع القيام به كل فرد منا صغيرا كان أو كبيرا صدقة ، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ :

١- سورة الأعراف : ٣١

٢- سورة المدثر : ٤

٣- رواه البخارى

(كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة) (١)

وفى حديث ثالث:**(بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك فاخرة فشكر الله له)** (٢)

وفى حديث رابع: **(الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها "لا إله إلا الله" وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)** (٣)

وليس من الإسلام ما نراه أحيانا من شوارع وأحياء وأماكن تتجمع فيها القمامة ، والأخطر من ذلك أنها تتجمع بجوار بعض المدارس والمستشفيات ودور العبادة.

رابعا – نظافة اللسان والجوارح:

مبادئ الإسلام تربى المسلم على حب الخير وتغرس فيه من الفضائل ما يجعله محبوبا بين الناس ، وتحقق له التوازن مع الغير ، فهو حسب تعاليم الإسلام حلو الحديث عفيف فى قوله وفعله ، صادق النصيحة للقريب والبعيد ، للمسلم وغير المسلم ، لا يؤذيهم بلسانه أو يده.

فعن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)** (٤)

وقال ﷺ : **(إن من شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فُحْشَه)** (٥)

وصدق الله العظيم القائل فى كتابه الكريم:

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (٦)

١- رواه البخارى
٢- رواه البخارى
٣- رواه مسلم
٤- رواه البخارى
٥- رواه البخارى
٦- سورة الأعراف : ١٩٩

وقال – سبحانه وتعالى – فى صفات عباد الرحمن: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [١]

من نظافة اللسان عدم التعرض للنساء والفتيات بالمعاكسات أو السب واللعن ، وقد حذر القرآن الكريم من ذلك: قال الله – تعالى – :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [٢]

تمتد النظافة من المسلم إلى ترك القبيح من الأقوال والأفعال ، فهو عفيف عن الكذب والغيبة والنميمة والنفاق واللغو والفحش وإفشاء الأسرار وشهادة الزور ، وهو لا ينظر إلى محرم ، ولا يسرق ولا يغش ولا يقبل الرشوة والاختلاس ... إلى آخره.

(ج) المحافظة على الماء:

من التوجيهات الإسلامية فى المحافظة على البيئة وتحقيق التوازن البيئى للميزان الإلهى للكون المحافظة على الماء.

قال الله – تعالى – : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [٣]

والمحافظة على الماء لها شقان:

الشق الأول : عدم تلويث الماء.

والشق الثانى : ترشيد استهلاكه وعدم تبديده فيما لا يفيد.

وقبل أن نتحدث عن المحافظة على الماء لابد أن نلقى الضوء على بعض الأمور المهمة. ولقد أنزل الله من الماء كشأن كل المخلوقات طاهرا نظيفا نقيا يحمل الخير والصحة والهناء للأرض. قال الله – تعالى –:

١- سورة الفرقان : ٦٣

٢- سورة النور : ٢٣

٣- سورة الأنبياء : ٣٠

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ [١]

والله ينزل الماء بقدر لحكمة يعلمها ، ودرسا لخلقه من البشر بأن يحافظوا على الميزان الإلهى لكل ما خلق – سبحانه وتعالى – ومنها الماء.

قال الله – تعالى –: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢]

وقال – تعالى – : ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ [٣]

قد يقول قائل هناك أماكن بها مياه تحت الأرض ، والإنسان يستخرجها للاستخدام ، والرد عليهم من القرآن الكريم : قال الله – تعالى – :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٤]

فالماء الذى فى باطن الأرض أنزله الله – سبحانه وتعالى – من السماء وسخر له خزانات أرضية تحفظه حتى يمكن للإنسان أن يستخدمه وقت الحاجة ، وهذا درس آخر فى ترشيد استهلاك المياه.

الأصل فى الماء الذى خلقه الله – سبحانه وتعالى – الطهارة والنظافة ، قال الله – تعالى – : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [٥]

والمحافظة على الماء طاهرا نظيفا تكليف من الله – سبحانه وتعالى للإنسان عندما جعله خليفته فى الأرض ، ولذا يقول الرسول ﷺ :

(اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل) [٦]

والمقصود بالموارد موارد الماء كالأنهار والعيون والآبار ... إلى آخره.

١- سورة إبراهيم : ٣٢
٢- سورة المؤمنون : ١٨
٣- سورة الزخرف : ١١
٤- سورة الزمر : ٢١
٥- سورة الفرقان : ٤٨
٦- رواه البخارى

ومرة ثانية يحذرنا الرسول ﷺ من التبول فى الماء سواء أكان راكدا أم جاريا فعن جابر – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ **قال : (إنه نهى أن يبال فى الماء الراكد).**[١]
وفى حديث آخر عن جابر أيضا – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ **(نهى أن يبال فى الماء الجارى)** [٢]

من هذا نستخلص أن على كل مسلم ومسلمة ، أن يتقى الله وأن ينفذ ما أمر به – سبحانه – بالمحافظة على الماء طاهرا نظيفا ، ولكى يحقق ذلك عليه:

- ألا يتبول فى الماء أو على ضفاف الأنهار والترع.
- ألا يلقى القاذورات فى الماء.
- ألا يلقى الحيوانات الميتة فى الماء كما نرى فى بعض الأماكن.

ويجب أن ننبه إلى أن كل من يحاول تلويث المياه هو خارج عن طاعة الله ، مستحق للعقاب لأنه : لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام.

الآثار السيئة الناتجة عن تلوث الماء:

تحمل المياه الملوثة من الميكروبات والجراثيم ما يكفى لتدمير الإنسان وتحويل حياته إلى جحيم دائم بسبب الأمراض المستعصية العلاج التى ستنتقل إلى جسمه بعد تناوله هذه المياه أو استعمالها فى تنظيف جسده أو حاجاته ، ومن هذه الأمراض: الكوليرا ، التيفود ، الباراتيفود ، الالتهاب الكبدى الوبائى ، شلل الأطفال ، الدوسنتاريا، والفشل الكلوى ، والإصابة بديدان الإسكارس ، والدودة الشريطية والبلهارسيا ... إلى آخره.

وتسبب المياه الملوثة فى قتل أكثر من مليونى شخص سنويا.

أما ترشيد استهلاك الماء:

فهو واجب دينى لأنه تنفيذ لأمر الله – سبحانه وتعالى – :

﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [٣]

١- رواه مسلم
٢- رواه الطبرانى
٣- سورة الأعراف : ٣١

تنفيذ المهمة التى خلق الإنسان من أجلها وهى عمارة الأرض. وهو واجب قومى لأن ملايين الأفدنة من الأرض تحتاج إلى كل قطرة ماء لزراعتها وتعميرها. وهــذا هــو رسول الله ﷺ يعلمنا ترشيد الاستهلاك فكان يتوضأ بمُدٍّ – أى مكيــال مــن المـــاء – ويغتسل بصاع ، فعن جابر – رضى الله عنه – **(رأى رسول الله ﷺ رجــلا يتوضــأ فقال : لا تسرف ، لا تسرف)**[١]

وعن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – **(أن رسول الله ﷺ مــر بســعد وهو يتوضأ فقال ﷺ ما هذا السَّرف؟ ، فقال سعد: فى الوضوء إســراف؟ قــال ﷺ: نعم ولو كان على نهر جارٍ).**

نرى لو أن رسول الله ﷺ رأى ما يحدث الآن من بعض الناس الذين يهدرون الماء هدرا ويضيعونه هباء فماذا هو قائل لهم؟ ومن أمثلة ذلك:

- خراطيم المياه مفتوحة فى الشوارع طوال النهار والليل فى رش الشوارع وغسيل السيارات.
- صنابير المياه التالفة التى ترمى بآلاف الأمتار من المياه إلى المجارى فى المداس والمصالح الحكومية ، والمسلمون يسمعون وينظرون ولا يتحركون لإصلاحها.

لو أن رسول الله ﷺ رأى ذلك فماذا لهؤلاء الذين يتركون صنابير الماء مفتوحة ويلعبون ويلهون بها ؟

ماذا يقول لموظفى المصالح الحكومية الذين ينظرون إلى الصنابير التالفة ولا يتحرك فى أفئدتهم ضمير نحو هذا الإهدار فى الماء؟

(د) الإكثار من المساحات الخضراء والأشجار

إن الإكثار من الأماكن إلى الخضراء بنباتاتها وأشجارها له فوائد صحية جمــة لجميع الكائنات الحية وخصوصا الإنسان ، فهى الرئة التى تتنفس منها المدن الهــواء النقى الصحى ، وتسمح بتوفير أشعة الشمس بأماكنها المفتوحة بعدما ارتفعت المساكن وأصبحت تناطح السحاب وتمنع أشعة الشمس والهواء ، وتسمح أيضا بتوفير الإضاءة

١– رواه أبو داود

النهارية وحرية الحركة ، وتوفير الراحة ، بالإضافة إلى التأثير النفسى ، فالعين ترتاح للمناظر الطبيعية ، والأنف يستفيد من رائحة النباتات.

ازرع الأشجار عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : **(إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل)**[١]

لكن لماذا يهتم الرسول الكريم بزراعة الأشجار؟ الإجابة على هذا أن الأشجار مصفاة طبيعية ترشح الهواء وتنقيه ، فهى تقوم بامتصاص الغازات السامة مثل "ثانى أكسيد الكربون" الموجود فى الهواء ثم تحوله إلى غازات نافعة "أكسجين" لجميع الكائنات الحية. ولأن الشجرة تلطف حرارة الجو فى أوقات الصيف وخصوصا فى المناطق الحارة. ولأن الشجرة حاجز طبيعى ضد الرياح الشديدة المحملة بالأتربة والرمال. ولأن الشجرة تحمل الغذاء للإنسان والحيوان والطير. قال الله – تعالى – :

﴿ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [٢]

من أجل ذلك فإن من يزرع شجرة ويتعهدها بالرعاية يظفر بثواب عظيم.

عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : **(ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)** [٣]

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ: **(ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يَرْزُؤه أحد إلا كان له صدقة)** [٤]

ولأهمية الشجرة ومكانتها العظيمة وفائدتها نجد رسول الله ﷺ يتوعد من يقطع الشجر الموجود فى طريق الناس بنار جهنم – أعاذنا الله منها–.

١– رواه أحمد

٢– سورة يس : ٣٥

٣– رواه البخارى

٤– رواه مسلم

فعن عبد الله بن حبشى قال : قال رسول الله ﷺ : **(من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صَوَّب الله رأسه فى النار)** (١)

لا تقطعوا الأشجار

تطالعنا الصحف ووسائل الإعلام بصرخات أصدقاء البيئة المخلصين ، الذين هم حقا خلفاء الله – سبحانه وتعالى – فى الأرض ، بما يحدث فى أماكن كثيرة من بلادنا من قطع للأشجار وإزالتها بواسطة أعداء البيئة والطبيعة ، ولا تزال مذابح الأشجار مستمرة.

إنهم لا يذبحون الأشجار فقط ، ولكنهم يذبحون الأجيال القادمة.

إنهم يقتلون خلقا من خلق الله يسبح بحمده ويسجد له.

إنهم يحدثون خللا فى التوازن البيئى للكون.

يحدث هذا للأسف فى مصرنا الحبيبة من أفراد ، بينما نجد أنه فى الدول الأوروبية لا تستطيع حكومة قطع شجرة ، لأن الشجرة ثروة قومية ، وقيمة فنية وجمالية وصحية للإنسان.

أليس الأولى أن نكون نحن من أكثر الشعوب محافظة على الأشجار والنباتات من غيرنا؟ فالشجرة عندنا كما هى عندهم ، ولكننا نزيد عنهم أننا بالمحافظة على الأشجار نكسب ثوابى الدنيا والآخرة.

أمور مخلة بالتوازن البيئى

من الأمور المخلة بالتوازن البيئى : تلوث الماء ، وتلوث الهواء ، والقضاء على الأشجار ، والصيد الجائر الذى أدى إلى انقراض أنواع كثيرة من الحيوانات والطيور ... ومنها السرقة والاغتصاب والاختلاس والرشوة والمحسوبية والغش والخداع ... إلى آخره.

(أ) التطرف والإرهاب

إن مهمة الإنسان فى الأرض هى عمارتها ، والمحافظة علي التوازن البيئى بها ، ولكى يؤدى هذه الوظيفة لابد أن يلتزم الاعتدال والتوسط فى كل أموره ، والإنسان قد تقابله بعض المغريات أثناء قيامه بهذه المهمة ، فيتحول من معمر إلى

١- رواه أبو داود

مفسد ومتلف ، ومن هذه المغريات التى تقابله ، المال إذا أصبح غاية وهدفا ، لا وسيلة تعينه على تحقيق غايته فيتمادى فى جمعه بالطرق المشروعة أحيانا وغير المشروعة أحيانا ، ومنها أيضا حب الجاه والسلطان والتحكم والسيطرة ، فكان الناتج الطبيعى لهذا الجنوح والبعد عن التوسط والاعتدال هو : التطرف والإرهاب.

والتطرف : معناه مجاوزة حد الاعتدال والتوسط والجنوح إلى المبالغة والتشدد.

والإرهاب : هو التخويف والتفزيع ، واستخدام القوة الغاشمة التى لا تفرق بين عدو وصديق ، ولا بين صغير وكبير ، للوصول إلى مكاسب غير مشروعة ، والإرهابى هو الذى يسلك طريق العنف والإرهاب لتحقيق أهدافه.

والتطرف والإرهاب من الأمور التى تحدث خللا كبيرا فى التوازن البيئى بما يحدثه من فساد واضطراب فى المجتمع وترويع لأبنائه ، وضياع لثرواته وتبديد لمقدراته ، فيحل الظلم محل العدل ، وينتشر الخوف ويضيع الأمن الذى هو نعمة من نعم الله على عباده.

ومن الأخطاء التى يقع فيها الكثير من الناس أنهم يتحدثون عن الإرهاب على أنه ظاهرة حديثة ، ولو أنهم قرأوا التاريخ ووعوه لاكتشفوا خطأهم الذى وقعوا فيه ، فالإرهاب والتطرف فى الرأى والفكر والعقيدة قديمان قدم الإنسان ، وفيما يلى بعض الأحداث التاريخية التى توضح ذلك:

اختلف الأخوان هابيل وقابيل ابنا آدم ، ولنستمع إلى القرآن بما يحدث:

يقول – سبحانه وتعالى – :

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١)

١- سورة المائدة : ٢٧ - ٣٠

لقد تحول قابيل إلى قاتل عندما تطرف فى تفكيره وأعماه الحقد والحسد على أخيه وهو أقرب الناس إليه ، وهكذا يضر القاتل نفسه وأهله والإنسانية جمعاء ، لقد كان قابيل أول قاتل على الأرض.

وإذا انتقلنا إلى قصص الأنبياء فسوف نجد التطرف والإرهاب من الكافرين المعاندين ، بدءا من قوم نوح – عليه السلام– ، وانتهاء بقوم محمد ﷺ.

فقوم نوح – عليه السلام – سخروا منه ، وعذبوه ومن آمن معه.

وقوم إبراهيم – عليه السلام – وضعوه فى النار لإحراقه لولا عناية الله.

واستمر مسلسل التطرف والإرهاب ضد الرسل والمؤمنين بهم من البشر واضطهاد الرومان للمسيحيين واستعملوا معهم أقسي أنواع الإرهاب يطالبون المسيحي بالثأر ويشعلون فيه النار وكانوا يقيدون الإنسان بين فرعى شجرتين لتتمزق أوصاله ، وتطرف اليهود في الجزيرة العربية ضد نصارى(نجران) فأشعلوا النيران في الأخدود واستاقوا عشرين ألفا من المؤمنين بالمسيحية إلي هذه النيران وقد جاءت قصتهم في القرآن الكريم "سورة البروج" قال الله تعالي :

﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (١)

أما الأمر الفادح الذي يردده الكثير من الغربيين والتجني واضح فيه هو أن الإرهاب صناعة إسلامية ، وزيادة في التعصب والتعنت ألحقوا الإرهاب بالإسلام وهو جهل بالإسلام وتعاليمه ، فالإسلام دين اليسر والرحمة والسماحة وهذا الادعاء صورة غير شريفة من صور الحرب التي تشن ضد الإسلام علما بأن من يقومون بهذه الحرب يمارسون أشد أنواع التطرف والإرهاب أفرادا وحكومات ، إن ما تفعله إسرائيل حاليا يعد أفظع أنواع الإرهاب والتطرف ! ماذا نسمي طرد وتشريد شعب بأكمله من بلاده وهدم منازله والاستيلاء عليها بالقوة ؟!! هل(كارلوس) الإرهابي

٢- سورة البروج : ٤ – ٨

الشهير والذي مارس إرهابه في معظم دول العالم مسلم ؟!! لا تظلموا الإسلام فهو: دين اليسر والسماحة. قال الله تعالي:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [١]

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وقف أمام القوم الذين عذبوه وعذبوا أصحابه بل وحاولوا قتله وقف أمامهم وقد مكنه الله سبحانه وتعالي منهم وقال لهم: ((ما تظنون أني فاعل بكم ؟)) قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال: **(اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم ، اليوم يغفر الله لي ولكم)** تكرر هذا الموقف كثيرا مع النبي ومن الذين جاءوا من بعده مع الأعداء من كل مذهب ودين قال الله – تعالي- :

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [٢]

فالمولي سبحانه وتعالي في الآية السابقة لا ينهي المسلمين عن البر والإحسان والعدل مع غير المسلمين ما داموا في سلم مع المسلمين وحسن صلة
وقد حض الرسول الكريم علي التسامح وحببه إلي المسلمين بالفعل كما حدث في فتح مكة وغيرها كما ذكرنا سابقا وبالقول فقال ﷺ: **(من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يم القيامة)**[٣]

قال الله -تعالى- : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [٤]

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) [٥] وقال ﷺ : **(من حمل علينا السلاح فليس منا)** [٦]

١- سورة النحل : ١٢٥
٢- سورة الممتحنة : ٨
٣- أخرجه أبو داود
٤- سورة الأنفال : ٦١
٥- رواه النسائى
٦- رواه البخارى

الإسلام دين الحكمة والموعظة الحسنة. قال الله – تعالى–:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (١)

وقال – سبحانه – : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (٢)

والإسلام يقرر أن الاعتداء على النفس الإنسانية الواحدة هو اعتداء على الإنسانية كلها. قال – سبحانه وتعالى – :

﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾ (٣)

وكانت آخر وصايا الرسول ﷺ فى خطبة الوداع تتضمن حرمة الدم والمال والعرض. قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع: **(ألا أى شهر تعلمونه أعظم حرمة ؟ قالوا : ألا شهرنا هذا، قال: ألا أى بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا : ألا بلدنا هذا ، قال: ألا أى يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا : ألا يومن هذا ، قال : فإن الله –تبارك وتعالى – قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ، ألا هل بلغت –ثلاثا– كل ذلك يجيبونه ألا نعم ، قال ويحكم أو ويلكم لا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)** (٤)

(ب) الإدمان والمخدرات

ميز الله – سبحانه وتعالى – الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل ، وجعله خليفة فى الأرض ، بالعقل ساد الإنسان الكون وطوره واستفاد من معادنه وخيراته المخبوءة.

وبالعقل سما الإنسان بفكره وأسلوب حياته ، واكتشف كل ما حوله من نبات وحيوان وجماد وسخر الجميع لراحته وخدمته.

١– سورة النحل : ١٢٥

٢– سورة العنكبوت : ٤٦

٣– سورة المائدة : ٣٢

٤– رواه البخارى

يقول الله – سبحانه وتعالى – :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

بالعقل اهتدى الإنسان إلى خالقه ، واجتهد فى طاعته فاستحق رضوانه ، والكفار عندما أهملوا عقولهم لم يتوصلوا إلى طريق الهدى واستحقوا غضب الله وعقابه وها هم أولاء يعترفون بذلك كما يحكى القرآن الكريم عنهم فى سورة " الملك"

﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٢)

والعقل من أعظم النعم التى من الله – سبحانه وتعالى – بها على الإنسان ، ويجب عليه المحافظة على هذه النعمة الجليلة وأن يصونها ، لأنه بالعقل ينعم فى دنياه وآخرته ، وبه يوازن بين متطلبات حياته ، وبه يستحق الأمور التى أسندت إليه من قبل مولاه – عز وجل –.

وقد حرم الإسلام كل ما يذهب العقل أو يغيبه. قال الله – تعالى – :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣)

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال:(**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)** (٤)

١- سورة البقرة : ١٦٤

٢- سورة الملك : ١٠ ، ١١

٣- سورة المائدة : ٦٠

٤- رواه البخارى

ولكن بعض الناس يدمرون هذه النعمة العظيمة التى أنعم الله – سبحانه وتعالى – بها عليهم ، وهى نعمة العقل باستعمال المخدرات والتدخين ، لأن هؤلاء المدمنين يعطلون عقولهم عن التفكير ، ويتحولون بسببها إلى درجة تقترب من البهائم الضالة التى لا تفكر ولا تعى. فيحدث خلل فى الميزان الكونى ، لأنه إذا فقد الإنسان أهم ميزة فيه وهى العقل ، فمن الذى سيفكر فى الكون ويتدبره ؟

من الذى سيبنى ويعمر ؟

من الذى سيتعلم ويطبق ما تعلمه على عمارة الكون وتطويره ؟

وهل يستحق هذا الغائب عن الوعى والفكر أن يكون خليفة فى الأرض؟

سوف يتحول المدمن إلى عبء ثقيل على أسرته وعلى من حوله ، وسوف يتحول إلى مخرب ومدمر للبيئة والمجتمع ، مدمر لكل ما هو صالح فى حياته وحياة أبنائه وأهله ، وبنظرة سريعة إلى حوادث العنف والقتل والسرقة والاغتصاب ... إلى آخره. سنرى أن وراء كل هذه الجرائم والمصائب والأهوال مدمنين.

إن المدمن خاسر لدينه ، وخارج على طاعة ربه ، وهو مستحق لغضب الله وعذابه.

المدمن وبال على نفسه وأهله ومجتمعه.

المدمن مدمر ومخرب للبيئة والكون من حوله.

المدمن منحرف عن الطريق المستقيم ، وبعيد عن منهج الله – سبحانه وتعالى– .

مقاومة الإدمان ومحاربته واجب دينى ووطنى وإنسانى.

ولكى نحافظ على التوازن البيئى يجب أن:

- نحارب التطرف والإرهاب ونقف جميعا فى مواجهته أفرادا وحكومات.
- نستأصل الإدمان من بلادنا ونحارب من يقومون بترويخ المخدرات حربا شعواء.

التدخين

عادة ذميمة يقلد فيها الصغار الكبار ، وذلك شئ طبيعى فالصغار بدافع نفسى يتعجل سن الرجولة لتحقيق ذاته وفرض شخصيته ، وسبيله إلى ذلك تقليده لمن هو أكبر منه ، وتستغل الشركات التجارية هذه الحاجة النفسية من خلال إعلاناتها التى تفترس عواطف الناشئين وتقدم لهم السم الزعاف ، مهيئا بطريقة مثيرة لكبرياء غير

الناضجين ، وعندما يرشدون ويدركون تكون مادة (النيكوتين) قد لوثـــت دمـــاءهم بطريقة تجعل الإقلاع عن التدخين أمرا غير هين ، وهكذا تســـتمر دورة الأجيـــال ، ودورة مصانع التبغ ، ابتزازا للمال ، وتدميرا لصحة الإنسان وتستمر تلك الحماقة فى حرق الملايين بين الأصابع والشفاه ، فى الوقت الذى استشهد (ايفرت كـــوب) مـــدير إدارة الشئون الصحية الأمريكية بمائة وإحدى وسبعون دراســـة تثبـــت أن النيكـــوتين مسبب للإدمان تماما مثل الهيروين والكوكايين ، وأن ثلث مليون أمريكـــى يموتـــون بأمراض لها علاقة بالتدخين بنسبة ١٦ % من عدد المتوفين بأمريكا سنويا ، ومؤكدا أن ثلاثمائة ألف شخص يموتون بسبب التدخين سنويا فى مقابل مائة وخمسة وعشرين ألف يتوفون بسب المشروبات الكحولية ، وأربعـــة آلاف يموتـــون بســـبب تعـــاطى الهيروين ،وألفين بسبب تعاطىالكوكايين ، وفى إطار الحملة العالمية لأضرار التدخين ، منع التدخين فى الأماكن العامة والمطاعم والفنادق والمسارح والمحـــلات الكبيـــرة وداخل سيارات الأجرة وفى الطائرات ، وبدأ كثير من الدول فى حظر الإعلانات فى التليفزيون بينما اتخذت دول أخرى إجراءات عديدة أقلها التحذير من أضرار التدخين ، بينما يطالب أخرون بعدم شرعية إنتاجية وتوزيعه حيث ثبت كونه مســـببا لمـــرض السرطان.

الخمـــــر

ميز الله الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾[1]

وأعظم ما في الإنسان عقله ، به ساد الكون ، وطور الحيـــاة ، ووصـــل إلـــى المنهج التجريبى الذي يسعى بالإنسان إلي المزيد من اكتشاف القوانين الحاكمة للمادة ، لمزيد من استيعاب هذا الوجود إعلاء لقدر الإنسان وسموا بفكر وتحقيقا لما كـــرم الله نوعه وفضله به علي كثير من خلقه.

١- سورة الإسراء : ٧٠

ومن هنا تكون وقفة الإسلام في حسم تجاه كل ما يمس القوي العاملة في الإنسان فالخمر ملعونة ، وسميت خمراً لأنها توارى العقل وتحجبه تشبيها لها بخمار المرأة الذي يغطى رأسها ووجهها ويقول – صلى الله عليه وسلم –: "كل مسكر خمر وكل خمر حرام" ويقول أيضاً: "ما أسكر كثيره فقليله حرام" ونهي عليه السلام (عن كل مسكر ومفتر) أي أن ما يصيب الإنسان بفتور جسمه فهو حرام كالمسكر .

وعلي ضوء هذا يتبين جلال الإسلام وعظمته في حماية عقل الإنسان الذي فضله الله به علي كثير من خلقه.

ومن هنا تكون وقفة الإسلام فى حسم تجاه كل ما يمس القوى العاملة فى الإنسان ، فالخمر ملعونة بنص الحديث النبوى الشريف ، وملعون شاربها وملعون ساقيها ، وبقول الله – تعالى – :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٌ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[١]

المخـــــدرات

خدر الإنسان : عراه فتور واسترخاء ، والمخدر : مادة تسبب فقدان الوعي في الإنسان والحيوان بدرجات متفاوتة ، والمادة مشتقة من خدر المرأة الذي يغيبها ويواريها عن الأنظار فكذلك المخدر يغيب وعي الإنسان ويواريه .

وتعرف بأنها مجوعة من العقاقير تؤثر علي النشاط الذهنى والحالة النفسية ، إما بتنشيط الجهاز العصبى المركزي ، أو بإبطائه أو بتسببها للهلوثة والتخيلات ، ومن أثارها : الأرق والاضطراب العصبي ، والارتجاج العضلي ، والتهاب المعدة والالتهاب الكلوي وتضخم الكبد ، وتمدد القلب ، والفالج ، والخبل ، والبله ، ويحول متعاطيها إلى إنسان شرس في طلب المزيد منها ، ويسقط في محيط المضاعفات من إسهال شديد إلى دموع لا إدارية ، فينكمش جلده ، ويصاب بآلام مبرحة في البطن. وتضيق حدقة عينه ، ويظل يتخبط في ظلمات الألم حتي يفقد حياته أو يصاب بالجنون

١- سورة المائدة : ٩٠

ويتحول المدمن بهذا إلي عبء علي أسرته ويصبح بيته جحيماً تنتهك فيه الحرمات ودمر فيه كل صالح في حياة الأبناء ، وأي دمار بعد هذا لبيئته ومجتمعه .

لقد استعملت المخدرات ضمن أسلحة الدمار التى يشهرها الأعداء بطريقة خبيثة حين يروجونها بين أعدائهم ، وقد هوجمت مصر بهذا السلاح في أعقاب انتصارها علي أعدائها في الحرب الصليبية ، الأمر الذي دفع "الظاهر بيبرس " إلي إنقاذ شعب مصر من هذه السموم حين أمر بجمع الحشيش وإحراقه ومنع زراعته .

وفي أعقاب عصر التنوير القومى والمصري الذى حمل رايته المرحوم جمال الدين الأفغاني ومن بعده الإمام محمد عبده وأقطاب الحركة الوطنية – حاول الأعداء إغراق مصر بهذه السموم. وقصة اليونانى الذي أدخل الكوكاين إلي مصر قبيل الحرب العالمية الأولي مشهورة حتى نشره بين الطبقة الأعلي ، وعن طريق التقليد والمحاكاه تم الانتشار بين بقية الطبقات ، وقد جهد أعداء مصر في تخدير وعيها فيما بين الحربين العالميتين الأولي والثانية حيث كانوا يدعون أنهم يخدرون بالكوكايين الدوآب التى تنقل إلي جيوش الحلفاء بصحراء العلمين الذخيرة والعتاد لتصبح سهلة القياد ، بينما كان الإنسان المصري هو المستهدف لتغييب وعيه عن واقع السخرة التي عاشها الشعب المصري لحساب الحلفاء وتستهدف مصر الآن لتدمير شبابها ومستقبلها من خلال ترويج هذه السموم.

وحرب الأفيون مازالت تمثل بُقَعاً كريهة فى تاريخ الوجود البشرى حيث قامت حربها الأولى فيما بين ١٨٤٠–١٨٤٢م واشتعلت حربها الثانية فيما بين ١٨٥٨–١٨٦٠م بين بريطانيا العظمى والصين ، بسبب منع الثانية دخول هذه السموم إلى أراضيها ، ففتحتها بريطانيا بحد السيف لتصدر إليها الأفيون الذى كانت تزرعه بمستعمراتها بالهند ، لتقييم حضارتها على حساب أرواح الملايين.

ويعين على ترويج سموم المخدرات فى عصرنا أنها تستهدف سياسيا ، حيث يروجها الزعماء فى بلاد أعدائهم للقضاء عليهم وتدميرهم.

الانحراف والحرابة والإفساد فى الأرض

الانحراف بمعنى الاعوجاج عن الطريق المستقيم وعن النظام الذى وضعه الله للمسلمين فى حياتهم ، وهى درجات يبدأ من المخالفات الصغيرة للنظام ، وينتهى إلى

كبائر الذنوب والجرائم التى تهدم فى الدولة الأمن والنظام ، وتروج فيهـا الفسـاد ، ويشقى بالحياة فيها العباد ... ومن الجرائم الكبيرة.

الحرابة: وهى مأخوذة من قوله – تعالى – :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ..... ﴾(١)

وهى أوسع معنى من القتل ، لأنها قد تكون من غير استعمال القتـل ، ممـن يخطفون البنات والسيدات ، ويحرقون المزارع والبيوت ، وغير ذلك من الجرائم التى لا يستعمل فيها القتل .. بل تستعمل فيها وسائل إجرامية لنهـب الأمـوال ، وإشـاعة الخوف ، وعمل ما يضر مصالح الناس الصحية والاقتصادية ... فيكون معنى حربهم لله ورسوله : خروجهم على النظام الذى وضعه الله ، معتمـدين علـى مهـاراتهم أو قوتهم .... إلى آخره.

والحرابة تمثل قمة الخروج على النظام والقوانين ، مما يشيع فى الأمة القلـق والخوف ويفسد على الناس حياتهم ، ويعطل مصالحهم ، كالسـلب والنهـب والقتـل وإهلاك الزروع ، وإتلاف المصانع والطرقات ، والاعتداء على الأعراض ، والاتجار فى السموم البيضاء ، وإغراق الناس بتناولها ، والنصب على البنوك ، وتقديم الأغذية الفاسدة للشعب ، والهجوم على القطارات والسيارات لسلب ركابها بـالقوة ، وتـأليف الجماعات المسلحة للاعتداء على الناس ولو كانت تحت ستار الإسلام ، كل ذلك ومثله يعتبر محاربة لله ورسوله ، وإفسادا للأرض.

وعقابهم فى الدنيا جاءت به الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢)

ولو طبق هذا الحكم الذى وضعه الله لكف المفسدون عن إفسادهم ، واستراحوا واستراح الناس من شرهم. وقد جاء فى قانون المخدرات الجديد الذى أقـره مجلـس

١- سورة المائدة : ٣٣

٢- سورة المائدة : ٣٣

الشعب التدرج فى عقاب المروجين للمخدرات والمتعاطين لها إلى حد الإعدام ، ولو طبق هذا القانون لاستراحت البلاد من شر كبير.

ومن هؤلاء المحاربين المفسدين فى الأرض جماعة من الشباب وغيرهم ، يعلنون أنهم إسلاميون وعندهم غيرة على الإسلام ، ولكنهم يقعون تحت تأثير أناس مخربين ممتلئين بالعقد النفسية ضد الدولة والمجتمع فيبثون فيهم تعاليم يقولون عنها إنها إسلامية ، ولكنها ليست من الإسلام ، ويغرسون فى نفوسهم أن المجتمع –وحتى أهلهم– كفار غير مسلمين ، وأن الدولة كافرة وأن العلماء عملاء للسلطة ، حتى من يعارض السلطة ، وأباحوا لهم شرعية النهب والقتل لمن يخالفهم فى الرأى ، ولقنوهم أنهم وحدهم المسلمون ، وأن لهم الحق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بقوة السكاكين والجنازير والخناجر والبنادق والقنابل ... إلى آخره.

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر له آدابه وطرقه ودرجاته فى الإسلام ، ولكن هؤلاء لا يعرفون ذلك ، فألفوا منهم جماعات مسلحة تصنع القنابل ، وتشترى الأسلحة ، أو يسرقونها بالقوة من حامليها ليستعملوها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والاعتداء على كل من يخالفهم فى الرأى ويعمل على منع شرورهم من الناس.

ولو صدقناهم فيما يقولون من غيرة على الإسلام ، فلا يمكن موافقتهم أبدا على شرعية ما يفعلونه ، إنهم يسيئون للإسلام ، ولأنفسهم ولبلادهم ، وأصبحوا لا يمثلون الإسلام بل يمثلون بالإسلام ، ويتيحون الفرص لأعدائه فى أن يتهموه بأنه دين دموى ، يتخذ القتل وسيلة للدعوة إليه ، كما أنهم بعملهم هذا خوفوا المسلمين من الحكم بالإسلام وتطبيق شريعة الله ، لأنه استقر فى أذهان الكثيرين أن الإسلام لو حكم فسيرى الناس من حكمه ما يراه هؤلاء.

ولو أنهم دعوا إلى الله بالحسنى والإقناع لرجونا الخير الكثير منهم ، وآزرهم كل محب للإسلام ، وإذا كانوا يقولون : نحن ندعو إلى تطبيق شريعة الله ، فكلنا يدعو إلى ذلك ، ولكن بالتى هى أحسن ، علما بأن كثيرا من القوانين المعمول بها فى الدولة لا تخالف الشريعة الإسلامية ، وتعتبر لذلك شرعية ، ولم تبق إلا بعض القوانين التى تتحين الدولة الفرصة لإصدارها ، وأمامها بعض الظروف الشائكة التى

تريد أن تتحاشاها ، حفاظا على مصالح الشعب نفسه ، ونحن حتـــى الآن لا نســتقل بإنتاج الغذاء والأشياء الضرورية للشعب.

وعلى الذين يطالبون الدولة أن تعمل ما يشاءون أن يعملوا لتوفير احتياجاتهم بأنفســهم ولا يمدوا أيديهم إلى الغير يطلبون منه المساعدة.

إننا نرجو من شبابنا أن يفهم دينه الفهم الصحيح ، وأن يقدروا الوضـــع الـــذى تمر به البلاد الآن ويعملوا كل ما يمكنهم للخروج من عنق الزجاجة ، والخلاص مـــن الديون والاحتياج المر إلى الدول الخارجية ، فإن ما حصل من إصلاحات فى الـــبلاد حتى الآن إنما حصل بالاقتراض ومساعدة الدول الخارجية لولا هذا ما تم الإصــــلاح الذى نلمسه.

ولو صرف هؤلاء الشباب جهودهم لتنمية موارد الدولة وتعميرها بـــدلا مـــن صرفها فى المؤتمرات والقتل والتدمير وزعزعة أمن الشعب لكان ذلـــك خيـــرا لهـــم ولبلادهم وأهدى سبيلا.

أهم المصـــــادر

١- القرآن الكريم

﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[١]

٢- "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني

دارالريان للتراث ، سنة النشر: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

٣- "صحيح مسلم بشرح النووى"

٤- "الجامع الكبير فى الحديث النبوى" للإمام الترمذى

١- سورة هود : ١

الفهرس

الموضـــوع **رقم الصفحة**